انطون عطاالله ـ عبد القادر الحسيني

بقلم البدوي الملثم

١ ـ انطـون عطا الله

الحكمة التي آمن بها الاستاذ عطاالله واتخذها دستورا وشعارا قول وليم غاريسون : « اعلموا ايها الناس ان الكلمة التي أقولها أعنيهـا بالذات ... لا أحاول ولا اراوغ ولا اجامل في قولي احـدا ، لا ولا أسحب كلامي .. ولا اعتذر عن شيء انشره ... أجاهد واثبت واجد ... وسيكون صوتي مسموعا بينكم ! » .

ولد الاستاذ انطون عطاالله في القدس ، زهرة المدائن ، سـنة ١٨٩٧ ودرس في مدرسة الاتحاد اللوثري المعروفـة بـ « مدرسـة الدباغة » بين ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ وفي خريف سنة ١٩٠٨ التحق بـ «مدرسة الاتحاد المسيحي الامريكي » كطالب داخلي وتخرج منها سـنة ١٩١٢ والتحق بالقسم العلمي في الجامعة الاميركية ببيروت وكان في طليعة المبرزين بالرياضيات ، وبقي في الجامعـة الى ان دعـي للخدمـة العسكرية . وفي اوائل ١٩١٦ نقلته السلطات العثمانية مع فريـق كبير من الطلاب الجامعيين من سكان فلسطين وسوريا ولبنان الـى مدرسة التدريب العسكرية في طوزله ، على الجانب الاسيوي مـن البوسفور ، وهناك أتم تدريبه العسكري وخرج برتبة مـلازم ثـان ولكنه لاذ بالفرار من الجيش العثماني بعد اعلان الثورة العربية .

وبعد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ عاد الاستاذ عطا الله الى فلسطين وحاول الحصول على اذن بالسفر الـى الخـارج ليدرس الهندسة ، ولكن السلطات البريطانية حالت دون سفر سكان المناطق المحتلة الى الخارج ، فبقي في القدس وعين سنة ١٩١٨ موظفا فـي مكتب المستشار القضائي وفي سنة ١٩١٩ مديرا للمكتب المذكور .

وفي سنة ١٩٢٠ التحق بـ « معهد الحقوق الفلسطيني » وتخرج منه سنة ١٩٢٤ بشهادة دبلوم وهي اعلى من شهادة الليسانس وتعادل الماجستير في الحقوق .

وفي شهر كانون الاول من سنة ١٩٢٤ عين مدعيا عاما لقضـاء يافا ، وكان هذا القضاء يشمل كامل المنطقة السـاحلية من قضاء طولكرم حتى الحدود المصرية . وفي سنة ١٩٢٦ تولى وظيفة مدعـي عام قضائي القدس ويافا ، وفي سنة ١٩٢٧ عهد اليه بوظيفـة مدير النيابات العامة بالوكالة .

وفي سنة ١٩٢٨ نقل من النيابات العامة الى المحاكم وشـغل اولا وظيفة قاضي صلح ثم مراقب المحاكم ثم كبير قضاة الصلـح . وفي سنة ١٩٣٢ عين قاضيا في محكمة مركزية القدس ونقل سـنة ١٩٣٩ ، أي بعد اعلان نشوب الحرب العالمية الثانية ، عضوا الـى محكمة مركزية حيفا وبقي هناك حتى استقال في خريـف ١٩٤٣ ، وخلال هذه الحقبة انتدب مرات ليعمل قاضيا في المحكمـة العليـا بالقـدس .

وبين سني ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ زاول المحاماة وبرز في ميدانها وترافع في العديد من القضايا الهامة في هذه الفترة ، وخاصة في القضايـا التي كانت تقام على المجاهدين العرب او التي كانت تتسم بطابـع سياسـي .

وفي سنة ١٩٤٤ عين الاستاذ عطاالله نائبا لرئيس بلدية القدس ، وكان عدد الاعضاء العرب واليهود في المجلس البلدي متساويا ، أي ستة لكل منهم ، وبعد وفاة رئيس البلدية المرحوم مصطفى الخالدي سنة ١٩٤٦ طالـب العـرب بتعيين عـربي اخر كرئيس للمجلس البلدي مكانه غير ان اليهود أثاروا حملة في القدس ولندن لتعيين يهودي رئيسا لبلدية القدس بداعي انهم اصبحوا الاكثرية في القدس ، فتلكأت حكومة الانتداب باتخاذ قرار حاسم بهذا الشأن وعمدت الـى تعيين عضو المجلس البلدي المحامي اوستر رئيسا للبلدية بالوكـالـة وبذلك نقص عدد الاعضاء العرب واصبح اليهود ، بصـوت رئيس البلدية بالوكالة ، الاكثريـة المطلقـة في المجلس البلدي ، وازاء هـذه اللعبة .. لم ير الاستاذ عطاالله بدا من تقديم استقالته ، بوصفـه نائبا لرئيس البلدية ، مع باقي الاعضاء العرب احتجاجا على اجراءات حكومة الانتداب ، وبذلك فقد المجلس البلدي النصاب القانونـي ، فاضطرت الحكومة بسبب ذلك الى حله وتعيين موظف انكليزي هـو المستر كريفس لادارة شؤون البلدية حتى نهاية الانتداب ! واثر ذلك قامت حكومة الانتداب بتعيين قاضي قضاة فلسطين السـير وليـام فيتزجرالد للتحقيق في الخلاف القائم حول رئاسة بلديـة القدس وتقديم توصيه بصددها .

وكان الاستاذ عطاالله في عداد الشخصيات التي مثلت عـرب القدس أمام هذه اللجنة وكانت حجته التي أدلى بها ان مدينة القدس كانت عربية الصبغة عند الاحتلال البريطاني ، وعند صدور صـك الانتداب كان يديرها مجلس مؤلف من اكثرية عربية ساحقة ، وان واجب حكومة الانتداب ، طبقا لاحكام صك الانتداب ، ان لا تفعـل شيئا يجحف بحقوق السكان العرب المدنية في المدينة المقدسـة ، ولكنها خالفت ذلك بضمها عددا من المستعمرات اليهودية التي انشئت بعد الاحتلال البريطاني مع سكانها الى بلدية القدس ، مستهدفة بذلك تغيير صبغة المدينة العربية ، بحيث يصبح اليهود اكثرية .

وانعكست وجهة نظر الاستاذ عطا الله في التقرير الذي قدمـه قاضي القضاة البريطاني للحكومة وأوصى فيه بتقسيم بلدية القدس الى قسمين : عربي يضم كامل المدينة القديمـة وضواحيها العربية ، ويهودي يضم الاحياء اليهودية فقط . ولقد اثار هذا التقرير حفيظة اليهود على الاستاذ عطا الله فهاجموه بصحفهم بضراوة ، وحملـوا عليه حملات منكرة . وكانت حكومة الانتداب تنوي تنفيذ التوصيات التي قدمها قاضي القضاة لولا ان هيئة الامم أصدرت قرارها المشهور في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وتدويل مدينة القدس والمنطقة المحيطة بها .

وفي سنة ١٩٤٧ وجهت الحكومة البريطانية دعوة الى الاستاذ عطا الله لحضور مؤتمر لندن ، لكنه اعتذر عن الحضور بسـبب الخلافات القائمة من وجهة النظر بين الفئات العربية الفلسطينية حول هـذا المؤتمـر .

وفي حزيران ١٩٤٨ عين الاستاذ عطاالله مديـرا عاما للبنـك العقاري العربي مكان السيد توفيق ابو الهدى الذي استقال عهـد ذاك ليرأس الوزارة الاردنية .

والبنك العقاري العربي هو البنك الذي قامت بتأسيسه دول الجامعة العربية سنة ١٩٤٧ لتقديم القروض للملاكين والمزارعين العرب ولانقاذ الاراضي التي كانت مهددة بالاستيلاء عليها من قبل المؤسسات الصهيونية في فلسطين . وكان الاستاذ عطاالله ، بوصفه المستشـار القانوني للبنك سنة ١٩٤٧ قد تمكن من الحصول على اذن من المندوب السامي البريطاني للسماح للبنك بمزاولة أعماله في فلسطين وكـان ذلك في شهر ايلول ١٩٤٧ .

وبعد حدوث النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) حاولت بعض الاوساط تصفية البنك العقاري العربي بداعي انه اصبح بعد تقسيم

فلسطين غير ذي موضوع ولكن الاستاذ عطا الله بذل الكثير من المساعي مع صفوة خيرة من الغيارى على رأسها الاستاذ احمد عبد الغفار أحد المستشارين الماليين للجامعة العربية في ذلك الحين والمدير العام لبنك الاسكندرية الان ، للحيلولة دون ذلك ونجحت هذه النخبة في مسعاها اذ تقرر استئناف أعمال البنك ، وكان عرب فلسطين بعد الكوارث التي نزلت بهم وما فقدوه من اراض وبيوت خلال سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ في أشد الحاجة الى الاموال لاستصلاح الاراضي وزراعتها وتعمير ما هدم من بيوت في القتال ولانشاء المباني والعمارات الضرورية ، فقام الاستاذ عطاالله بافتتاح فروع للبنك في الضفة الغربية اولا ثم في الضفة الشرقية من الاردن واخذ يمنح المزارعين والملاكين واصحاب الفنادق قروضا طويلة الاجل ، الامر الذي افضى الى انعاش الحالة كثيرا اذ تمكن المزارعون في منطقة طولكرم وقلقيلية والاغوار من انشاء عدد كبير من بيارات البرتقال وغرس ما يزيد على مليوني غرسة زيتون بين ١٩٤٩ - ١٩٥٣ بالاموال والقروض التي قدمها البنك العقاري العربي ، وخاصة انه حتى ذلك الحين كان المؤسسة الوحيدة التي تعمل في هذا الحقل في الاردن ، وقام البنك باشراف وتوجيه الاستاذ عطاالله بتقديم قروض طويلة الاجل لاصحاب الفنادق وخاصة في القدس ورام‌الله ، الامر الذي أسهم كثيرا في تنشيط حركة السياحة وزيادة الدخل من العملات الاجنبية ، كما ساهم البنك المذكور في الخمسينات بتوجيه الاستاذ عطاالله ، في تقديم القروض لانشاء المساكن والمباني في عمان وسائر مدن الضفة الشرقية . ولقد دل الاحصاء الذي اجراه البنك سنة ١٩٥٧ على انه ساهم في بناء ٧٠ ٪ من جميع المساكن والمباني التي انشئت في مدن الضفتين في تلك السنة . وخلاصة القول لقد ساهم الاستاذ عطا الله ، عن طريق البنك العقاري في الانتعاش الاقتصادي الذي كان يتمتع به الاردن حتى ما قبل سنة ١٩٦٧ ، وما زال يعمل على رأس البنك العقاري العربي في الاردن حتى الان .

وفي سنة ١٩٥٤ رشح الاستاذ عطا الله نفسه للانتخابات النيابية فانتخب نائبا عن مدينة القدس وشغل النيابة حتى اواسط ١٩٥٦ ، وبعدها حل المجلس ، واعترافا بخدماته في القطاع العام عين عضوا في مجلس الاعيان الاردني في اول تشرين الثاني ١٩٦٣ وما زال عينا . وبالاضافة الى ما ذكر فقد دعي الاستاذ عطا الله مرات لتولي المناصب الوزارية لكنه كان دائم الاعتذار لاعتقاده انه يقوم بالخدمات المفيدة للبلاد وهو على رأس البنك العقاري العربي . وفي سنة ١٩٦١ وافق على تمثيل الاردن كممثل خاص في الامم المتحدة كما وافق على قبول منصب وزير الخارجية في تشرين الثاني ١٩٦٣ وبقي في هذا المنصب حتى شهر تموز ١٩٦٤ عندما قدمت الوزارة استقالتها فعاد الى عمله كرئيس للبنك العقاري العربي .

وامتاز عهده الوزاري بأحداث بارزة اهمها مؤتمر القمة العربي الاول الذي دعا اليه الرئيس عبد الناصر وعقد في القاهرة في ١٣ - ١ - ١٩٦٤ وقد اسهم الاستاذ عطا الله بتهيئة الجو الملائم بين الاردن ومصر تمهيدا لاجتماع الملك حسين بالرئيس ناصر قبيل انعقاد المؤتمر ، كما اشترك في المناقشات والمداولات الهامة التي جرت أثناء انعقاد المؤتمر وخاصة في موضوع الكيان الفلسطيني وانشاء منظمة التحرير الفلسطينية .

وبناء على قرار اتخذه هذا المؤتمر قام الاستاذ عطا الله في ربيع ١٩٦٤ بزيارة معظم بلدان اميركا اللاتينية واليابان والصين الوطنية ممثلا لدول الجامعة العربية لشرح جوانب وابعاد القضية الفلسطينية لرؤساء تلك الدول وحكوماتها وشعوبها ، واستغرقت زيارته هذه حوالي ثمانين يوما كان لها صدى واثر كبيران في تلك البلاد وصحافتها وفي تفهم القضية الفلسطينية على حقيقتها .

وخلال توليه وزارة الخارجية قام البابا بولس السادس في كانون الثاني ١٩٦٤ بزيارة الاردن ، تلك الزيارة التاريخية التي جنى الاردن منها الكثير من الفوائد السياسية والادبية والمادية .

وفي نيسان ١٩٦٤ صحب الاستاذ عطاالله ، بوصفه وزيرا للخارجية ، الملك حسين بن طلال في زيارته لواشنطن بدعوة من الرئيس الاميركي لندون جونسون واشترك في المحادثات التي جرت بين العاهل الاردني والرئيس الاميركي كما تحدث للجنة مشتركة من اعضاء لجنتي الشؤون الخارجية في مجلسي الشيوخ والنواب الاميركيين بحضور الملك حسين وشرح لها المنجزات التي حققها الاردن في الحقل الاقتصادي وحاجاته الانمائية للسير قدما في النجاح الذي حققه حتى ذلك الحين ، وذلك بمناسبة بحث المساعدات الفنية والاقتصادية للاردن في المجلسين المذكورين .

ومن الامور الجديرة بالذكر الدور الذي لعبه في خريف ١٩٦٣ عندما قدم الوفد الاميركي مشروع قرار أمام اللجنة السياسية الخاصة للامم المتحدة حول اللاجئين الفلسطينيين كان الغرض منه تصفية قضية فلسطين . وعندما رفض الوفد المذكور التراجع عنه بالرغم من الجهود التي بذلها الممثلون العرب في تلك الدورة فقد رأى الاستاذ عطا الله التدخل مع مستر دين راسك وزير الخارجية الاميركية وطلب بالحاح مقابلة عاجلة في واشنطن ، وتمت المقابلة عشية التاريخ المقرر للتصويت في اللجنة السياسية الخاصة ، واستمرت المقابلة ساعة وربع الساعة وافق وزير الخارجية الاميركية على أثرها سحب المشروع الاميركي والموافقة على المشروع المعدل والمقدم من ممثلي بعض الدول الصديقة .

وفي اذار ١٩٦٧ كان الاستاذ عطا الله في عداد اعضاء الوفد الاردني الى اجتماع الاتحاد البرلماني المنعقد في مدينة « بالما » بجزيرة « مايوركا » الاسبانية وكان للخطبة التي ألقاها امام اعضاء المؤتمر ، ردا على التهجم الاسرائيلي على الدول العربية امام المؤتمر المذكور ، صداها البعيد بين اعضاء الوفود المختلفة مما اثار حفيظة الوفد الاسرائيلي وخاصة رئيسه دافيد هاكوهن الذي اخذ يذرع القاعة بانفعال وينتف شعره ويلاحق الاعضاء ... عضوا عضوا ... للتدخل في منع الاستاذ عطا الله من اتمام حديثه ، ولعل هذه الخطبة كانت من الاسباب التي دعت السلطات الاسرائيلية المحتلة فيما بعد ، لابعاد الاستاذ عطا الله من القدس مسقط رأسه الى عمان في اواخر سنة ١٩٦٧ .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية سنة ١٩٦٧ كان الاستاذ عطا الله مقيما في بيته بالقدس لكن الجنرال دايان اصر على ابعاده الى الضفة الشرقية من الاردن ، واتخذ يمين الولاء للملك والوطن الذي أقسمه الاستاذ عطا الله في مجلس الاعيان الاردني ذريعة لذلك الابعاد ، ولكن السبب الحقيقي لابعاده كانت الاقوال التي صرح بها وهو ما يزال في القدس تحت الحكم العسكري الاسرائيلي لمندوبي هيئات الاذاعة والتلفزيون الاجانب ، والتي أذيعت يومذاك في تلك البلاد ، والتصريحات التي أدلى بها لمراسلي الصحف الاجنبية والعبرية والى ممثل يوثانت الشخصي مستر ثالمان ، وقد اعتبرتها السلطات الاسرائيلية موجهة ضدها .

ومن المهام العامة الاخرى التي قام بها الاستاذ عطا الله خير قيام زيارته للندن في شهر حزيران ١٩٦٨ على رأس وفد من النازحين الفلسطينيين للاشتراك في « اسبوع فلسطين » هناك ومقابلته وزير الدولة البريطاني مستر جرونوي روبرتز وشرح القضية الفلسطينية وملابساتها ، ومن ثم حضور الاجتماع الذي عقد في مجلس العموم البريطاني والاشتراك في المناقشة التي جرت فيه ، وكذلك زيارته لمدينة (بون) بطلب من الجامعة العربية لالقاء خطاب في المهرجان الكبير الذي دعا اليه مكتب الجامعة العربية هناك . وقد كان لهاتين الزيارتين رد فعل ملموس في لندن وبون . وعلى أثر رجوع الاستاذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عطا الله للاردن تلقى خطابا من مستر ويلسون رئيس الوزارة البريطانية يذكر فيه ان حكومة جلالة الملكة البريطانية ستبذل كل جهد ممكن في سبيل الوصول الى حل سلمي للنزاع العربي – الاسرائيلي ، يستند الى الحق والعدل .

وكان الاستاذ عطا الله كذلك احد اعضاء اللجنة الثلاثية الذين قاموا بتحضير الشهادات والبينات على أعمال النسف والتنكيل والتعذيب والقتل الجماعي التي ارتكبتها السلطات والقوات العسكرية الاسرائيلية ضد السكان المدنيين في المناطق العربية المحتلة وتقديمها الى فريق الخبراء الذين انتدبتهم لجنة حقوق الانسان للتحقيق في المخالفات والانتهاكات الاسرائيلية لاتفاقية جنيف المؤرخة في ١٢ – ٨ – ١٩٤٩ وقد كانت جهود اللجنة الثلاثية المذكورة موضع تقدير وثناء عام اذ قدمت لفريق الخبراء المذكورين صورة كاملة عن تصرفات السلطات الاسرائيلية غير الانسانية والمشينة .

ولعب الاستاذ عطا الله دورا هاما بالقضية الارثوذكسية العربية التي ورث الاهتمام بها عن جده لامه المرحوم حنا زخريا الذي كان اول من رفع علم تلك القضية وسافر سنة ١٨٧٢ الى الاستانة وعرض مطالب الطائفة الارثوذكسية العربية على الباب العالي . وكان الاستاذ عطا الله عضوا فرئيسا في اللجنة الارثوذكسية العربية ، كما ترأس جميع المؤتمرات الارثوذكسية التي عقدت في العهد الاردني . وكان للاستاذ عطا الله نشاطات عديدة في الحقل الاجتماعي والخيري اذ كان وما زال رئيسا لجمعية الشبان المسيحية في الاردن ورئيسا للجنة العالمية المسيحية ، وهي جمعية خيرية ادت خدمات طائلة للقرى الامامية في فلسطين ورئيسا للمجلس الملي الارثوذكسي في القدس كما كان رئيسا لنادي الروتاري في القدس لسنة ١٩٦٥ – ١٩٦٦ ومحافظا اقليميا لمنطقة الروتاري ١٩٥ (الاردن ، لبنان ، مصر ، السودان ، قبرص) لسنة ١٩٦٦ – ١٩٦٧ .

نموذج من نثره : « في البيان (١) الذي القيته امام هذه اللجنة في ١٢ كانون الاول سنة ١٩٦١ اتهمت لجنة التوفيق بالتحيز والتقرض والتواطؤ مع اسرائيل لتحول دون تنفيذ الفقرة (١١) كما اتهمت لجنة التوفيق بانها لم تكن في يوم ما مستعدة او راغبة في القيام بالواجبات المترتبة عليها ضمن نطاق او حدود التفويض المرسوم لها ، وفقا لنص الفقرة (١١) في حرفيته وروحه . والسؤال الاول الذي يتبادر الى اذهاننا هو :

هل لجنة التوفيق هذه هي الهيئة الصالحة المؤهلة للقيام بتنفيذ قرارات الجمعية العامة ؟ انها بتصرفاتها خلال الثلاث عشرة سنة الماضية اظهرت بوضوح انها لا تعتبر نفسها تابعة لهيئة الامم المتحدة او مرتبطة بقرارات الجمعية العامة التي انشأتها ، بل على العكس لقد عملت كانها هيئة مستقلة حرة في ان تفعل ما تختار او لجنة تتلقى اوامرها من حكومات اعضائها متسترة بقناع هيئة الامم المتحدة . هذه قضية تثير القلق للدول العربية وقد توصل الوفد الاردني الى نتيجة مؤداها ان استمرار لجنة التوفيق في عملها لا يخدم أي غرض يفيد على الاقل بشكلها وتأليفها الحالي .

ولا تزال وجهة النظر هذه صحيحة اليوم كما كانت منذ سنتين خلتا وبناء على ذلك فان وفدي الان يفكر تفكيرا جديا فيما اذا كان ثمة اي فائدة من استمرار تعامله مع لجنة التوفيق او فيما اذا كان الواجب عليه بأن يوصيكم بانهاء صلاحية اعضاء اللجنة الحاليين وتعيين اعضاء جدد بدلا منهم ، اعضاء ممن كرسوا انفسهم لخدمة الاهداف التي قامت من أجلها هيئة الامم وممن يؤمنون بقدسية قراراتها وبالحاجة الملحة لتنفيذها لصالح السلام في العالم والانسانية جمعاء ، ولا شك في ان لجنة تتسم بهذه الصفاة تكون اكثر فعالية في تطبيق الفقرة (١١) وفي تنفيذ ارادة هيئة الامم المتحدة الامر الذي يؤدي الى صيانة كرامتها وهيبتها وعلى العكس فان الاحتفاظ باعضاء مثل هؤلاء في مناصبهم وهم لا يؤمنون بتطبيق الفقرة (١١) ويتبنون حلولا مختلفة ويسلكون مسالك اخرى هو عمل شاذ من شأنه زيادة المصاعب التي تواجه لجنتكم وتواجه هيئة الامم المتحدة بصدد قضية اللاجئين الفلسطينيين وتؤثر عليهما تأثيرا سيئا . وكذلك الحال مع اسرائيل فقد تحدت هي ايضا حسب عادتها الامم المتحدة ورفضت تطبيق الفقرة (١١) من قرار هيئة الامم المتحدة رقم ١٩٤ .

وتجد اسرائيل لسوء الحظ بين اعضاء هيئة الامم بعض الدول التي تساندها في تحديها وتنكرها وهذه الدول الاعضاء ، مدفوعة بعوامل خفية خاصة بها وحدها تود ان تذيب وتصفي ما نصت عليه الفقرة (١١) محاولة بذلك منح لجنة التوفيق صلاحية جديدة للبحث عن حل لقضية اللاجئين يخالف نص الفقرة (١١) وعلى وجه التحديد عن طريق اسكان اللاجئين الفلسطينيين العرب في الدول العربية وفقا لرغبات اسرائيل والصهيونية العالمية بل اوامرهما ، والواقع ان هذه هي الغاية من مشروع القرار الذي تقدمت به الولايات المتحدة وهي غاية تهدف الى الغاء الفقرة (١١) بطرق بطيئة ملتوية واذا ما قدر للولايات المتحدة الاميركية ان تنجح في الحصول على اصوات كافية لتنفيذ مشروع هذا القرار في يوم من الايام فسوف يكون ذلك يوما حالكا اسود في تاريخ البشر وتاريخ هذه المؤسسة العظيمة ويضعها موضع السخرية ، كما ان من شان ذلك ان يزعزع ثقة وايمان الامم والشعوب الذين آمنوا بقيمة هذه المنظمة وجدواها في أهدافها النبيلة وفي توطيد وصيانة المثل العليا للسلم والعدالة .

ان الذين يعتقدون بأن السلام سيسود منطقة الشرق الاوسط دون احترام لحقوق اللاجئين الشرعية ومصالحهم الحقة وفقا لنواميس العدالة ، ونص القانون الدولي وحقوق الانسان ليخدعون انفسهم ويغررون بها . انهم ليضيعون اوقاتهم واوقات هذه المنظمة سدى ، ان مساعيهم لحل مشكلة اللاجئين بالمسكنات ، مثل مشروع القرار الذي قدمه مندوب الولايات المتحدة الاميركية ، ستذهب ادراج الرياح ، وانها ستؤدي الى نهاية التوتر ومخاطر النزاع .

انكم لتواجهون احد بديلين ، اولهما ان تخضعوا لضغط اسرائيل والدول الاعضاء الذين يدعمونها ، وان تتقهقروا بصورة غير مباشرة وتنقضوا قراراتكم المتكررة حول عودة اللاجئين ، وبذلك تعرضون هذه المنظمة العظيمة للمذلة والصغار . وثانيهما ان تعضدوا هذه القرارات القائمة على المبادىء السامية النبيلة لميثاق حقوق الانسان ، تلك المبادىء المستمدة اسسها وجوهرها من مبادىء العدالة والقانون الدولي ، وان تصروا على موقفكم لرفع شان هذه المنظمة وكرامتها وفائدتها لبني البشر ! » .

٢ – عبد القادر الحسيني

كان الشعار الذي حمله « عبد القادر » وراح ينشده امته المشردة قول اليازجي :

الستم من سطوا في الارض واقتحموا شرقا وغربا وعزوا اينما ذهبوا
فما لكم ويحكم اصبحتم همـلا ووجه عزكم بالهون منقلب ؟

ولد « عبد القادر » في بيت المقدس سنة ١٩٠٨ ، وهو نجل المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية بفلسطين وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة «روضة المعارف» بالقدس والتحق بالجامعة الاميركية في القاهرة وفي سنة ١٩٣٢ نال بكلوريوس في العلوم وعاد الى فلسطين وعمل موظفا في دائرة تسوية الاراضي بتشجيع من المسؤولين البريطانيين الذين درجوا على اغراء حملة الشهادات العليا من ابناء العائلات بتعيينهم في وظائف عالية

(١) من البيان الذي القاه الاستاذ انطون عطاالله امام اللجنة السياسية الخاصة للامم المتحدة في ١٨ – ١١ – ١٩٦٣ .

لابعادهم عن العمل في الحقل الوطني .

وفي سنة ١٩٣٦ ، والثورة العارمة تعم انحاء فلسطين ، استقال عبد القادر من عمله الحكومي وحمل السلاح واشترك في معارك القتال ضد الانكليز واليهود ، بعد ان تجسم الخطر على عروبة فلسطين عندما تدفق سيل عرم من المهاجرين اليهود على ارض فلسطين ، فاخذت سلطات الانتداب البريطانية تنتزع الاراضي العربية من ايدي اصحابها الفلسطينيين بشتى القوانين والانظمة ، فهب الغيارى من المناضلين العرب لمناجزة الاستعمار البريطاني وزبانيته ، وكان في طليعتهم البطل الحلاحل عبد القادر الحسيني ، فابلى البلاء الحسن .

وحينما استشهد القائد المؤمن سعيد العاص بالقرب من قرية الخضر كان عبد القادر الى جانبه فاصيب بجراح بالغة ، بعد ان كبد الانكليز خسائر فادحة اصابت جيشهم البالغ عدة الاف بينما المناضلون مع عبد القادر لا يتجاوز عددهم مئتي مناضل .

ولما استانف عرب فلسطين ثورتهم في سنة ١٩٣٧ ، بعد ان فشلت مساعي ملوك وامراء العرب ، عاد عبد القادر الى حلبات الجهاد وقاد المناضلين حتى اصيب بجراح بليغة في معركة بني نعيم بالقرب من الخليل على أثر معركة حامية الوطيس قام بها المناضلون ضد القوات البريطانية المسلحة بالدبابات والطائرات ، وقد نقل عبد القادر من ميدان المعركة الى الخليل حيث ضمدت جراحه . ولما اشتد عليه الخطر، أثر اصابته هذه ، نقله رفاق السلاح الى دمشق حيث ادخل المستشفى وتم له الشفاء .

ولما اصطدم الجيش العراقي بالجيش البريطاني في سنة ١٩٤١ ناضل عبد القادر الانكليزعلى رأس عدد من المجاهدين الفلسطينيين نضال الابطال ، وسجلوا بذلك صفحات من الفخار والمجد في سبيل نصرة الحق الهضيم . ولما انتهى الامر باخماد ثورة رشيد عالي الكيلاني سجن عبد القادر في سجن بلدة العمارة بالعراق ومكث فيه عدة شهور ثم أخلي سبيله في سنة ١٩٤٢ وسرعان ما اعتقلته السلطات العراقية الموالية للانجليز وقدمته للمحاكمة ثم غادر العراق الى الحجاز حيث أمضى هناك مدة من سنة ١٩٤٤ الى نهاية سنة ١٩٤٥ حيث تمكن من الوصول الى مصر .

وبعد ان جاء مصر وقضى فيها فترة من الايام وصل اليها من فرنسا سماحة الحاج السيد محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين واخذ عبد القادر يعمل مع سماحته على التاهب لمعركة فلسطين ولمقاومة الاستعمار البريطاني والصهيوني . ولما اعلنت هيئة الامم المتحدة قرار تقسيم فلسطين واعلن العرب رفضه دخل عبد القادر فلسطين سرا سنة ١٩٤٧ لتنظيم حركة الجهاد الشعبي ، ثم عينته الهيئة العربية العليا قائدا لجيش الجهاد المقدس ، وقد قام هذا الجيش الباسل وعلى رأسه عبد القادر وزملاؤه ومساعدوه من رجال الجهاد المقدس والمتطوعين من عرب فلسطين بأعمال حربية باهرة سجلوا فيها انتصارات جليلة القدر ولا سيما في معارك الطرق بين القدس ـ يافا وبين القدس ـ الخليل وحاصروا يهود القدس البالغ عددهم وقتئذ (١١٥) الفا وضيقوا الخناق عليهم حتى طلبوا الاستسلام ووسطوا في ذلك بعض قناصل الدول العربية .

ولما شرع اليهود يرتكبون جرائم نسف بعض الاماكن العربية وتدميرها بالمتفجرات كما فعلوا في تدمير السراي القديمة بيافا حيث نسفوها وقتلوا فيها عددا كبيرا من الابرياء العرب ، كما فجروا براميل مملوءة بالمواد المتفجرة في حيفا ويافا والقدس ، وقتلوا بذلك عددا كبيرا من العرب وفي عدادهم طائفة من النساء والاطفال ، كما ارسل اليهود الى نابلس سيارة مشحونة بالمتفجرات ستروها بكمية من ثمار البرتقال بغية تفجيرها في سوق المدينة حيث يتجمع جمهور كبير من افراد الشعب ، وكان اليهود يقصدون من قيامهم بحوادث التدمير اشاعة الرعب في نفوس العرب .

وردا على تلك الاعمال البربرية قام جيش الجهاد المقدس ، وعلى رأسه عبد القادر ، باعمال حاسمة، فنسف ودمر حي ابن يهودا والوكالة اليهودية بفعل المناضل الشجاع انطون داود سائق القنصلية الاميركية في القدس وعمارة جريدة « بالستين بوست » ، كما خاض معركة شعفاط وغيرها من اعمال البطولة التي فاز بها عبد القادر ورجاله الاشاوس قبل دخول القوات النظامية الى فلسطين .

ويوم الاربعاء الواقع في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ نشبت معركة ضارية بين عبد القادر ومعه مناضلون من عرب فلسطين وبين اليهود في جبل القسطل وانتصر عبد القادر وجيشه على العدو واسترد منهم ذلك الجبل الحصين والقرية المعروفة باسمه بعد ان كبدهم خسائر فادحة في الارواح والذخائر ، وهنا نفد العتاد من أيدي المناضلين فاشار عليه اركان حربه بالاكتفاء بما حدث لكنه أبى الا الامعان في تقتيل الغزاة ، فاخذ يهاجمهم في معاقلهم ، يرميهم بالقنابل اليدوية ، فمني اليهود بالخسران لكن شظية من قنبلة طائشة أصابته من مدافع العدو فنقله رفاق الجهاد الى منزله في بيت المقدس .

وفي يوم الجمعة المصادف ٩ نيسان ١٩٤٨ صلي عليه في المسجد الاقصى المبارك ودفن الى جوار المرحوم والده بجانب المسجد المبارك باحتفال مهيب اطلقت فيه المدافع تحية للبطل الشهيد ، ونعاه المؤذنون على المآذن وقرعت اجراس المعابد حزنا عليه واقيمت صلاة الغائب في الجامع الازهر وفي جوامع المدن العربية ، وجعل خطباء صلاة الجمعة استشهاده الشريف موضوع خطبة الجمعة ، وأبنه النواب والعاملون في الحقل الوطني في المجالس النيابية بمصر وسورية ولبنان والعراق وفي جامعة الدول العربية .

وقبل ان يلحق هذا الشهيد الخالد بربه هرع الى دمشق ، مقر اللجنة العسكرية للجامعة العربية ، يصور لها خطورة الموقف ويطالبها بالسلاح ، وكان مكدسا في عنابرها ، لكنه وجد الابواب كلها موصدة في وجهه والآذان صماء عن الاستماع الى مطالبه وتوسلاته فعاد البطل الى القدس ليموت ميتة الابطال ، ولو أجيب الى مطالبه لما نزلت الفاجعة باستشهاده ، ولما حاقت الواقعة باهل قرية دير ياسين حيث ذبح اليهود أطفالها وشيوخها وعجائزها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما ذكرت مرة الشهيد عبد القادر الحسيني الا وذكرت شهيد الاسلام مصعب بن عمير الذي عندما هم المسلمون بدفنه نزلت الآية الكريمة التي تلاها رسول الله على جموع المسلمين : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

نموذج من نثره : « هذه الرسالة وجهها الشهيد عبد القادر من دمشق بتاريخ ١٤ ربيع الاول ١٣٦٥ الى سماحة الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا ابان وجوده في مصر » : « أكتب اليك من دمشق ولا أدري كيف أصف شعوري وما يجول في نفسي ، وما يخفق في فؤادي . وهذه فترة قصيرة أنا بعيد فيها عن مشاغل القتال، وما ذلك رغبة مني ولكن الظروف هي التي اوجدتني في دمشق ، بعيدا عن رائحة البارود وعبير الجنة وخوض المعارك الى جانب اخواني الابطال الذين يقومون بتحرير وطنهم ، نصرهم الله وايدهم بقوة من عنده .

لقد كانت الفترة الماضية مليئة بالانتصارات الباهرة والاعمال المجيدة التي بهرت العالم وحطمت العدو . لقد سطرنا صفحات مجد لا تنسى في التاريخ، ولكن هذا لم يات عفوا ولا سهلا وانما بالتضحيات العظيمة والجهود المتواصلة ليلا ونهارا ، وهو عمل نسي كل منا نفسه واهله واولاده وطعامه ونومه وكل ما في الدنيا خلا الرغبة في النصر وسحق العدو الكبير في عدده ، القوي في عدده ، بما لدينا من السلاح القليل ! لقد قدرنا الله على ذلك وكافئناه على جدنا بالنصر المبين ، لكننا ما زلنا في اول الطريق وعلينا ان نضاعف الجهود ونصل الليل بالنهار حتى نصل الى النصر النهائي ، واني ابشرك من الان باننا سنصل اليه ان شاء الله » .

البدوي الملثم

عمان ـ الاردن



سيلما لاغيرلوف

أديبة السويد الخالدة

تحيـة لمرور ثلاثين عاما على وفاتهـا

مهداة الى الصديق الدكتور آندير وايسترلنغ

الدكتور زكي المحاسني

دمشق

★★★

قل (لسلمى من آل لاغرلـوف) — شـغل الحب خـاطري وطيوفي

بعد كـر السنين ناديت روحـا — سبحت في الفضا بجنـح هفوف

فتنة الشرق باسمها ، فهي منـا — غنيت في الهدى عن التعريـف

أنـت فـي الخـالدات ما لغنـاء — من سبيل اليـك أو مـن مطيـف

خلقت نسـوة كفـاء رجـال — عبقريـاتهـن غيـر زيـوف

فاستهانوا بهن في مطلع الدهـ — ـر وقالوا لبنـت حـواء عيفـي

للرجال النصيب في الكـد والكد — ح وللـدار أنـت والتنظيـف

واستحر الزمـان بالقيـد والعسـ — ـف فمنذا بغيث ذات الشفوف

معول لسـحر في يديك أيا سـلـ — ـمى لقد هـد كل سـد عنيـف

أنت حررت بالعقـول ذوات الخد — ر مـن سـوء منـزل وسـدوف

قلـم الحق فـي أنامـل طهـر — زينـة فيـك بالاعـز المنيف

كان من حـرر العبيـد غنيـا — بالمروءات قبـل والمعـروف

وأتاك الحجى بحريـة الفكـر — ومجـد البيـان والتوصيـف

من ديـار الشـآم ناجاك خـل — حـامـد فيـك تالـدا بطريـف

ولذكراك فـي هـواه وجـود — دون هز القنـا وقـرع السيوف

ملحمـات من جلـق عـبر دنيـا — هي للعـرب شـاديـات عزيـف

تنثر الزهر فوق مرقد (سـلمى) — بسـلامي ولهفتـي ورفيفـي

الثلاثون في السـنين تقضـت — ولك العمـر خـالـد التاليـف

كتبـك اليـوم ملء عين البرايـا — قصص في وفـاء ذكـر عطـوف

عـالـم للحيـاة بعدك يبقـى — انت ابدعتـه بزيـن الحـروف

تلـك ذكـرى أثيرها لعزيـز — عاش رمزا للكاتب الفيلسـوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسباسة

قصة ذاتية

بقلم خليل الهنداوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتيمة ، صغيرة كانت ...

زيتونية اللون ، ملساء الشعر ، محززة الجلد ، خضراء العينين .

حين اشفق عليها حامل المصعد ، واواها الى كوخه ...

تقف بين رجليه ، ذليلة ، ضارعة ، والشقاء يخلق الشفقة .

كنت اراها حوله ، وهي تلعق اللبن بلسانها الاحمر الصغير من صحن عتيق ، او تمضغ اللقمة اللينة بأسنانها القصيرة .

حتى اذا دخل الليل هبط الى قبو عميق ، مظلم ، تنام فيه .

واحيانا ، كانت تصعد الى الطابق الثاني ، حيث تداعبها فتاة صغيرة شقراء ، ويجود عليها اهلها بزاد ، والبهيمة كالانسان أسيرة الاحسان .

لكن موقفها في الدرج كان يحدث المشاكل عند الصغار الذين كانوا يخافون وقفتها ومنظرها . ولا سيما حين يرونها منتصبة على قدميها ، وفي يديها حركة الوثوب ، وفي عينيها لمعان غريب .

وفي كل مرة ، كانت ابنتي « شروق » كلما همت بالخروج ، ووقع بصرهاعليها امتلأت منها رعبا ، وارتدت الى الباب ، ترتجف من الخوف ، وتريد من يمسك عنها هذه القطة الشريرة .

كنت اقول لها :

ـ لماذا يا ابنتي تخافينها ؟ انها لانيسة ، لا تؤذي من لا يؤذيها ، ولا تقدم على شر . اقتربي منها بوداعة. وامسحي راسها بكف لينة . انها ستبادلك عطفا بعطف ، ورقة برقة .

ويبدو ان هذه الكلمات ، على تكرارها ، اثرت في نفس ابنتي ، وما هي الا ايام معدودات ، حتى القى الله الرافة والسكينة في قلبها ، فصارت الهرة تتمسح بباب بيتنا ، واخيرا دخلت علينا زائرة .

انها زائرة جديدة دخلت البيت ، أكرمنا هذه الزائرة ، وأطعمناها ، وآويناها ، واطلقنا عليها اسم « بسباسة » .

ولكنها ـ بالرغم من ذلك ، لا تزال تستوحش منا ... اذا اقترب احدنا منها اجفلت وتوارت ، واذا هبط الليل آثرت ان تعود الى قبوها ، كأنها لا تثق بأنها صارت من اهلنا .

وبعد ايام استأنست ، وصار البيت كله مجالا تسرح وتلعب وترتع فيه ، لها المكان ولها الزمان .

اصبحت القطة في البيت لعبة الصغار ومتعة الكبار ... لقد كان البيت هادئا، فخلقت الحياة والحركة فيه ، بما تأتي به من حركات ، وقفزات ، من مكان الى مكان ، ومن مقعد الي مقعد ، لا تترك شيئا الا دحرجته ، ولا خيطا الا تعلقت به ، واحيانا ، تهاجم ذيلها اذا لم تجد شيئا . وبذلك اعطت ابنتي فرصة لتلهو بها قليلا عن الدراسة المتواصلة التي كانت ترهقها .

لم تقف قصتها عند البيت ، بل انتقلت الى المدرسة ، حيث كانت تحدث شروق اترابها عن قطتها ، واترابها يتحدثن عن قططهن ، فيكون نزاع على من الاجمل ؟ البيضاء ، أم السوداء ، أم الزيتونية الاكثر حركة ونشاطا .

ومن العجب أن « شروق » التي كانت تخشى مرآها ، اصبحت ، اذا دخلت البيت كان اول سؤال عنها ... عن أكلها ، عن شربها ، عن حركاتها ، عن زياراتها ، عن عبثها .

حقا ، ان قلب الانسان حين يكون صافيا، يكون منبعاللحب والاحسان.

واحيانا كان لا يخلو البيت من خصومة بين شروق واخيها ، لان كليهما كان يريد ان يستأثر برضا القطة ، ومحبتها ، ولمس جلدها . والويل من الواحد للاخر اذا أزعجها او اوجعها .

ولم تكن « بسباسة » بضعيفة ، فلها من مخالبها ما تخدش به من يجرؤ على وخزها ، ولكنها اذا وخزت لم توجع ، واذا عضت لم تشد ، كأنها تدري بغريزتها ان ما يقع بينها وبينهما لا يتعدى المزاح .

وكم من مرة كانت تحملها شروق الى ذقنها ، فتلعقها بلسانها الخشن الصغير ، كأنها تتلو عليها صلاة الشكر .

البرد لاذع في الخارج ، لكن هدير المدفأة لا ينقطع، وعلى الاريكةالملاصقة للمدفأة كانت « بسباسة » تتخذ مقعدها ، تتمدد ، وتتمطى ، وتبسط قوائمها ، وتحني عنقها للدفء ، وتتراخى ... وهي لا تدري ان ماء النهر اغرق ، مرة ، قبوها ، وطاف على ما فيه .

وحين تتبدد غيوم الشتاء ، وتطلع الشمس ، وترسل اشعتها ، خلسة ، على الشرفات الخارجية ، كانت « بسباسة » تتسلل لتنعم بحرارة الشمس ، وتتقلب تحتها عابثة لاعبة ، وهي تنتظر يوما ان يكون هنا ، ملعبها حين تدفأ الشمس .

ولا أنسى « شروق » وهي توصي امها :

ـ افتحي لها الباب الى الشمس كلما طلعت الشمس .. انها تشم فيها رائحة الربيع .

وحين شعرت الام ، مرة ، بأن المقاعد كانت تتمزق تحت مخالبها غضبت ، وهمت بطردها من البيت ، لكن « شروق » صاحت :

ـ دعيها تفعل ما تشاء . ولتذهب

قصة

المقاعد الى الفناء .

وكان لا بد لنا ، اذا ، ان نستسلم الى كل ما تحدثه « بسباسة » من تلف في البيت ، لان صاحبتها عزيزة علينا ، وبذلك اصبحت مثلها عزيزة على قلوبنا .

وذات مساء شعرنابأن «بسباسة» تتقيأ ، وتتهوع ، وبأن صوتا خفيفا ابح ، مصحوبا بالانين يخرج منها .. فاعتقدنا بأن هذه الحالة قد تأتي ، ولا تلبث ان تزول .

وفجأة ، رأيناها تنكمش على نفسها ، وتتبدل ملامح وجهها ، وتخف حركتها .

تكرر ذلك منها ، ودخل الخوف الى قلوبنا ...

قد يمرض الانسان ، ويعرب بلسانه عما يشكو ، لكن العجماء تمرض ولا تشكو ، وتموت ولا نعرف بماذا ماتت ؟

لقد كانت « شروق » اعمقنا حزنا، واشدنا قلقا على مصير « بسباسة »

- اريد طبيبا يفحصها ويداويها .

ولكن ، أي طبيب نستشيره في أمرها ؟ وماذا يقول عنا الناس اذا فعلناذلك ، ومن ذا يحمل قطةمريضة الى طبيب ، بينما الناس يموتون ، والاطفال يرحلون قبل ان يدركهم الطب والاطباء ؟

ليست « بسباسة » الان وحدها بمريضة ، ولكن ابنتي في الحقيقة هي المريضة .

اذا ، كان لا مفر من استشارة طبيب .

وليظن الطبيب ما شاء في أمرنا ، وفي جنوننا .

ان حياة - بين ايدينا - تتعذب .. حقا ، انها ليست بحياة انسان . ولكن من تهون عليه حياة حيوان صغير مهما كان ، تهون عليه حياة انسان .

واخيرا اذعنت . لان ضميري يجب ان يستريح ... ولن يستريح حتى أؤدي واجبي كاملا .

استشرت طبيبامختصا ، ووصفت له الاعراض ، فأبدى شكه في سلامتها ، لان القطة قلما تمرض ، واذا مرضت كان مرضها - غالبا - مرض الموت .. ولكنه سيجرب .. ووصف لها العلاج .

- العلاج . كلنا يطلب العلاج .

وخلال ذلك ، كانت تزداد حالتها سوءا .

- رباه . ما اسرع ما يتغير المريض .

لم يبق للعينين وميض .. ولم يبق للوجه نضارة . ولم يبق للجلد بريق ، ولم يبق للقوائم عزيمة على الحركة .

ندعوها الى الدفء ، فتهرب الى البلاط البارد .

نحملها الى النور ، فتفر الى الظلام .

نعرض عليها الحليب والماء ، فتهز رأسها بايماء العازف عن كل شيء .

نريد ان نحيط بها لنؤنسها ، فتنفر منا الى العزلة .

وتناديها شروق بالصوت الحنون الذي تعودت ان تناديها به ، فتجيبها بأنين ، ملؤه الحنين ، وترنو اليها بعينين شاخصتين ، باهتتين .. خبا منهما الضياء .

امام هذه الحالة ، كان يجب ان أهرع في العلاج ، فخرج الصغير في الليل يتحسس صيدلية ما ، ولكنه لم يجد العلاج .

وفي الصباح تحاملت « بسباسة » على نفسها ، وقبعت على عتبة الباب ... لعلها تريد ان تتروح قليلا خارج البيت . وما ان فتحت الباب حتى انسلت ، وهبطت الدرج متحاملة على نفسها ، تقصد القبو الذي كان بيتها الاول .

كانت ارض القبو لا تزال ملموءة بالطين الرطب ، ومن جدرانه تتصاعد رائحة العفن .

وحين نزل الصغير ، ليتفقد امرها وجدها قابعة في الزاوية التي طالما قضت لياليها فيها ، وهي تقلب عينيها الباهتتين ، هنا وهنا ، في أطراف القبو .

وماذا تريد من القبو الان ؟ وماذا تتفقد ؟ الحياة التي تنسل منها شيئا فشيئا ؟ ام الذكريات التي تناديها اليها ؟ أم تراها تنتعش لمجرد ان ترى المكان الذي كانت تحيافيه ؟ أم كانت تؤثر ان تجود بروحها فيه ، بعيدة عن الاشخاص الذين احبوها واحبتهم ، حتى تبعدهم عن الالم ؟

حملها الصغير الى البيت ، وكان العلاج ، هذه المرة ، جاهزا ، فسقاها ملعقة صغيرة بالرغم عنها . وشروق تولت فتح فمها ، فكان اخر ما تركته خدش خفيف في اصبع الصغير ، حين كان يفتح فمها ، وهي تطبقه .

وفي هذه الاثناء قرع جرس الهاتف من رفيقة لشروق ، تسألها عن حالة « بسباسة » وهما في الحديث ... كانت « بسباسة » تخبط ، وتلبط تحت المقعد الذي طالما رآها تتمدد عليه في عنفوان صحتها وقوتها .

- وفجأة سكنت .. وعلى فمها خطان قرمزيان رسمهما لون الدواء .

- انها النهاية .

أوحيت الى الصغير بأن يلفها ، ويحملهاسريعا قبل ان تعود «شروق» من المكالمة .

لبثت في مكاني جامدا .. ماذا أقول لها ؟ وبماذا أعلل اختفاءها ؟ هل اقول لها ؟

- انها نزلت الى القبو ..

اجل ... الى القبو العميق السحيق الذي تتجرد فيه الاحياء من لحومها ، لتغدو هياكل عظمية ، وجماجم فاغرة افواهها .

ان مشهد الموت مرعب في الحيوان والانسان ، ويزيده رعبا ان نرى أحبابنا الذين كانوا يتحركون ، قبل لحظات ، قد سكنوا الى الابد .

عادت شروق ، ونظرت الي ، وكأنها شعرت بأن نبأ خطيرا يرتسم على وجهي .

- اين بسباسة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البيت البحري المهجور

تشدني البيوت المنهارة الى أنسها القديم أشم
رائحة الانسان البعيد ، يلهث جمر المواقد
في جبهتي ولا رماد ، حيث للريح طعم الملح
المسافر ، وكل شيء مبحر ...

★

أحجاره مالحة الرؤيا — شباكه من طحلب كلسي
تمر فيه الريح من شاطىء — في الغيب او في النجم، لا ترسي
كم شاله الرخ على ريشه — وحطه في جبهة الشمس
والجن كم لبت مواعيدها — وكم اقامت فيه من عرس
يسأل عنه الصمت غب الضحى — والليل والانجم اذ يمسي
حروفه بقيا عظام رمت — أشلاءها على شفا رمس
فكاه لم يبق سوى لوحة — مدلوقة في سحنة النحس
كأنها طعنة رمح صد — مدقوقة في ترسه المنسي

تخاله منتظرا وافدا — خلاه في الفجر على ان يعود
كأنما الموقد في ضلعه — يلفح خديك بصمت الوقود
تذكره الحيتان في لجة — امواجها الرقطا غرابيب سود
تصفر ما بين أخاديده — سحنة ملاح قضى من عهود

في الشاطىء الغربي منه ارتمت — بقية من فقرة ضائعه
في الشاطىء الشرقي من رجله — عظيمة في الرمل مستودعه
وفي شمال مصحر موجه — جمجمة مثقوبة مشرعه
تلهو تباعا في تجاويفها الا — سماك والافلاك والزوبعه
يا بيت ، يا بحر ، فما انتما — الا جوابين على مسأله

فراغك العابس في حيرة — يعرض في صحرائه المعضلة
وموجك الممدود في رحبه — يرسمها موارة مرسلة
وانتما في البدء من مصدر — أبله في غاياته المغفله
نهاية في الصفر تطوافها — والصفر قبر يشرح المشكله

علي شلق

غلب علي الصمت ، واردت ان اكذب .. ولكني لم استطع ان أتكلم .
– انها ماتت .. اليس كذلك ؟ اين هي ؟
وهنا عاد صغيري ، ولا يزال الدمع متحجرا في عينيه ، وهو يقول :
– لقد دفنتها قرب النهر .
وصاحت شروق :
– اريد ان اراها .. اريد ان اراها . بسباسة ، اين هي ؟ اريد ان اراها .
واسترسلت الى النحيب ..
هربت من البيت ، وفي البيت دموع ، وتدحرجت على الدرج ، امسح من عيني دمعة جامحة ساخنة .
وانا اسأل نفسي :
– كيف كان هذا ؟ والى متى ستبقى هذه الميتة حية بيننا ؟

خليل الهنداوي



عاشقة تتنكر

كانت ليلى الاخيلية تزور قبر حبيبها توبة بن الحمير متنكرة كيلا يراها الناس ، وقد سجلت خواطرها الحبيسة في هذه القصيدة التي أقولها على لسان ليلى .

الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

أأمنع حتى ان أزورك ثاويا ... كأن لم تزل حيا على الارض باقيا
ضلال لهم ماذا تريب زيارتي ... وهذا الردى قد صاح ألا تلاقيا
أجيء وأمضي في ارتجاف ولم أكن ... لاملك وقتي كي اطيل مقاميا
أثم وجهي كي أغافل رصدي ... ولو علموا سدوا الطريق اماميا
عيون كما شاءت عداك تحوطني ... كأني اذا آتيك ألبس عاريا
لقد حسبوا صم الحجارة بيننا ... رسول غرام يحمل الشوق حانيا
على أنني ان جئت ألصقت مهجتي ... بقبرك فاستروحت بعض عزائيا

وهب نسيم منك ينعش خاطري ... كأن زلال الماء أسعف صاديا
ورفرفت الاطياف حولي بهيجة ... اكاد بها القى محياك زاهيا
وغبت عن الدنيا وطرت لسامر ... من الخلد صداح المسرة شاديا
تساقى المحبون الرضى في ظلاله ... وقد أقسموا الا يغيبوا التساقيا
وغاب فضول التافهين فلا ترى ... جسوداً ولاتخشى من الناس واشيا
وانت به طير وحيد على الربى ... تشوق ان يلقى الرفيق المصافيا
تقول غدا ليلاي تؤنس وحدتي ... فلبيك لو انى ملكت حماميا !
سئمت نعيم الخلد دوني وما به ... سوى الروض فينان الاماليد حاليا
فكيف اذا ما عشت مثلي مع الورى ... وقد نفثوا السم الزعاف أفاعيا

عجبت لهم شنوا الاراجيف حولنا ... لاصلي لظاها مثلما كنت صاليا
فقائلة خانت وما خنت ، انما ... ترى صفوها ان كدرت لي حياتيا
وشائنة تحكي تخرص شانىء ... وقد كذبا كي يستثيرا الدواهيا
كأنهما يستشعران لذاذة ... اذا خفضا بالافك من كان عاليا
وبي مثل ما زان الاماثل عفة ... أحاكيك فيها رقة وتساميا

عشقتك عفا قد سباني حياؤه ... وأفرط حتى قاد مني زماميا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عشقتك شهما يرتجى القوم رفده   وما عاق منـه ان يكونوا اعاديـا
همام اذا نادى الصريخ لدى الحمى   مضى عزمه الشاكي يجيب المناديا
وضيء تفاديني صباحـة وجهـه   كأن شعاع الشمس يعلو الروابيا
طويل ولا مثل الرماح اذا سـمت   وماست بأيدي الدارعين عواليـا
أديب اذا ساق النسيب حسـبته   تهامس أرواح تطيـل التشاكيـا
أصيـخ اليـه أستبين عواطفي   وبي ما بـه يشكو فألمس دائيـا

ضلال لقومينـا اقامـوا قيـامة   على حبنا السامي تشيب النواصيا
دعـانـا هوانـا لاقـتران مطهـر   فساءهمو أن يصبح الحـب داعيا
وقلنا زفاف في صفـاء فزمجروا   كأن كتاب الله يأبـى التصافيـا
أئن هتفـت روح بـروح ثنتهمـا   تقاليد بدو تنبـذ الدين قاصيـا
أئن همست عينان يومـا بصبوة   تناءى مـن الاسباب ما كان دانيا
اذا هدم الحب الزواج كما ادعـوا   فلا عجب أن يزعموا البعض بانيـا
تزوجت كرها حين أجبرت بامرىء   اراه بعين البغض كالوحش ضاريا

يلاطفني ما اسطاع لكـن عقـارب   تنوش جناني حين يدنو جواريـا
ودون فؤادينـا فـلاة سـحيقـة   يزمجر فيها مارد الجـن طاغيـا
له جسدي المهـزول لا شيء غيره   حطام اذا باعوه لم يلـف شاريـا
له كبدي الحرى تثور ضغينـة   وتوقـد مثل الجمر يلهب ذاكيـا
درى انني أهوى سواه فما ارعوى   وآثر في السجن الرهيب بقائيـا
سبى والدي بالمال حين استرقني   فيالرقيـق راح يطلـب فاديـا
أبي ما أبي الا كزوجـي ومعشري   شخوص من الصوان قامت حياليا
يخافون ان آتي الضريـح فكلهم   يراقب يومـي ، ضحوتي ومسائيا

أينهض ميـت للقـاء على هـوى   كما كان قبل الموت يهوى لقائيـا
أينشق قـبر عن محيـاه زاهـرا   وضيء الثنايا ساحر الطرف سابيا
أيسرع قلب نحو قلـب معانقـا   ويطغى حنين يرسل الدمع هاميا
أتمتد كـف نحـو كـف وتلتقـي   عيـون لها همس يجيد التناجيـا

يخافونه في القبر ـ لا زال خوفهم ـ   فهل صدقوه حين انشـد باكيـا
(ولو ان ليلى الاخيلية سـلمت   علي ودوني جندل) بات راسـيا
(لسلمت تسليم البشاشة أوزقـا   اليها الصدى من جانب القبر) ساعيا
كأني سمعت الصوت يا لتعجبـي   يسلم تسليم البشـاشة راضيـا
توهمته ان لم أكـن قد سـمعته   وأحببت بـه وهمـا يبل اوامـيا

الفيوم ـ دار المعلمات   محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

دواوين شعر من الارض المحتلة

بقلم الدكتور محمود السمره
عميد كلية الاداب بالجامعة الاردنية

***

اذا كان الفدائيون يقاومون الغازي المحتل بالرصاص ، فان في أرض فلسطين شعراء يقاومونه بالشعر ، والكلمة الشريفة الهادفة . وهكذا نجد اليوم الكلمة الى جانب الرصاصة ترد باطلا اقيم على القوة ، وتدافع عن الحق الذي ضيعه التخاذل ، والانهزام . ولم نكن ، قبل حرب حزيران ، نعرف الا النزر اليسير عن هؤلاء الشعراء وشعرهم ، لان عرب الارض المحتلة ظلوا طيلة عشرين عاما معزولين عن اخوانهم العرب ، وكان من نتيجة هذه الحرب الاخيرة ان أتيحت لنا الفرصة لنعرف الكثير عنهم ، فاذا بنا امام شعر رائع ، عاصف ، ملتهب ، ينظمه شعراء يناضلون المحتلين بالقول والعمل ، ويسجنون ، ويضطهدون ، ويعذبون ، من اجل مواقفهم هذه .

وقد شاع هذا الشعر في انحاء العالم العربي ، وانتشر ، لانه يعبر عن عنف المأساة ، وارادة لا تلين في محاربة المحتلين ، وايمان بأن الليل لابد ان ينفلق اخيرا عن صباح منير . وعندما انتشر بيننا هذا الشعر ، بعد حرب يونيه (حزيران) ، كان له أثر كبير في بث الثقة بالنفس ، في وقت كنا فيه بحاجة الى ما يرفع معنوياتنا . واستجابتنا السريعة له دليل على وحدة الوجدان ، والشعور ، والفكر ، بين عرب الارض المحتلة ، والعرب في الاقطار العربية الاخرى . ويبدو لي ان استجابتنا وحماستنا ، لهذا الشعر ، مردهما ايضا الى اننا وجدنا فيه صورة للانسان العربي الجديد ، الذي طال انتظارنا ليوم مولده .

من جحيم الظلم ، والاضطهاد ، ومن ذل الاحتلال ، ولد هذا الشعر فطريا ، نقيا ، صافيا ، رغم الحصار الثقافي المفروض على عرب الارض المحتلة : فلا مدارس كافية لهم ، والتعليم الجامعي يكاد يكون محرما عليهم ، ووسائل النشر محدودة . ونتيجة للظروف التي نشأ في ظلها ، كان هذا الشعر متميز الاتجاه ، فالسلطات الصهيونية لا تسمح للعرب ان يقيموا اي تنظيم ، ولهذا انضموا الى حزب مرخص له ، ليستطيعوا من خلاله ان يدافعوا عن قضيتهم .

ومن ادباء المقاومة في الارض المحتلة : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد ، وسالم جبران وراشد حسين ، وحنا ابو حنا ، وعصام العباسي ، وسليم يوسف جبران ، ونايف صالح سليم ، وميشال حداد ، وعيسى اللوباني ، وفتحي قاسم ، وعمر محمود الزغبي ، وطارق عون الله ، ويعقوب حجازي ، واميل حبيبي ، وهايل عساقلة ، ونبيل عودة ، ومحمد نفاع ، وعفيف صلاح سالم ، ومحمد علي عطية .

وسأحاول في هذا المقال ان ارسم الخطوط العريضة لهذا الادب ، من خلال شعر ثلاثة شعراء هم : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد . وقد اخترت هؤلاء الثلاثة ، لان شعرهم يمثل القمة في شعر شعراء الارض المحتلة .

ونجد المعلومات الموثوق بها عن كل من محمود درويش ، وسميح القاسم ، في حديث اجرته معهما مجلة « الطريق » البيروتية ، في عددها الذي خصصته لادب المقاومة في فلسطين (تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٦٨) .

في عام ١٩٤٢ ، وفي قرية البروة الواقعة في الشرق من عكا ، ولد محمود درويش . ولا يذكر من احداث صيف ١٩٤٨ ، سوى ان اليهود هاجموا القرية ، فأخذ يعدو في اتجاه احراش الزيتون السوداء ، فالجبال الوعرة ، مشيا على الاقدام ، وزحفا على البطون ، الى ان وجد نفسه اخيرا ، مع عائلته ، في لبنان . ومنذ صغره ، نقشت في مخيلته كلمات جديدة هي : الحدود ، اللاجئون ، الاحتلال ، وكالة الغوث ، الصليب الاحمر ، العودة ، فلسطين .. وهكذا كانت طفولته نفسها ضحية عدوان . واحس منذ هذه السن المبكرة بالثورة على امرين : على واقعه الجديد كلاجيء ، وعلى اولئك الذين احتلوا وطنه .

وبعد سنتين من اللجوء ، قال عمه له ذات مساء : الليلة نعود الى فلسطين متسللين . وسارا في الليل يقطعان الوديان ، والجبال الوعرة . وفي الصباح وجدا انفسهما في فلسطين ، ولكنهما لم يعودا الى قريتهما ، لان العدو كان قد نسفها ، ودكها دكا . واحس الصبي انه لاجيء ، مرة ثانية ، حتى في وطنه .

وقد تفتحت موهبة محمود درويش الشعرية في سن مبكرة ، حين كان في المدرسة الابتدائية ، وفي هذه السن بدا ينشر شعره في الصحف . وعندما اصبح طالبا في المدرسة الثانوية ، اخذت كتابة الشعر تصبح هي همه الاول . وكان اكثر ما يؤلم الشاعر في دراسته الثانوية ، انهم يعلمونهم عن هيرتسل اكثر مما يعلمونهم عن نبي العرب ، وابطالهم ، ويفرضون عليهم دراسة التوراة ، بينما القرآن الكريم لا وجود له في مناهجهم .

وفي سنة ١٩٦٠ ، وعمره ثماني عشرة سنة ، صدر ديوانه الاول ، وهو « عصافير بلا اجنحة » ، وهو ديوان يدل على ان الشاعر لم يكن قد تمكن من فنه بعد . وفي سنة ١٩٦٤ صدر ديوانه الثاني « اوراق الزيتون » ، وهو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اول محاولة جادة للشاعر في الطريق الذي واصل السير فيه ، وفيه ثورة على واقع وطنه ، وتغن بالارض ، والوطن والكفاح . وقد راج هذا الديوان بين عرب الارض المحتلة، بحيث طبع مرتين . وفي سنة ١٩٦٦ صدر ديوانه الثالث « عاشق من فلسطين » ، وقد كتب الشاعر اكثره وهو في السجن . وكان آخر ديوان له هو « آخر الليل » وقد اصدره بعد كارثة حرب يونية (حزيران) ، وقصائد هذا الديوان اكثر ايحاء ، وظلالا ، من دواوينه السابقة .

وقد حاربت السلطات الصهيونية الشاعر دون هوادة ، وفرضت رقابة شديدة على شعره ، وشعر زملائه. وتفاديا لمنع شعره من ان ينشر ، لجأ الى استعمال الرموز. ومع هذا فقد حذفت الرقابة لهؤلاء الشعراء كثيرا من قصائدهم . ولم يستطع محمود درويش ان يحصل على اذن بنشر ديوانه « عاشق من فلسطين » ، الا عن طريق التحايل على الرقابة ، اذ قدم عنوانه بالعبرية للرقابة على انه « عاشق من ارض اسرائيل » .

وفي كثير من الحالات ينشر الشاعر قصائده قبل ان يحصل على اذن من الرقابة ، ويضعها امام الامر الواقع ، ويكون مستعدا لتحمل النتائج . وهؤلاء الشعراء ينشرون شعرهم في جريدة « الاتحاد » غالبا ، وهي جريدة حزبهم . ومحمود درويش وسميح القاسم ، محرران فيها .

وتحاول السلطات الصهيونية ان تغري هؤلاء الشعراء بالوظائف والمرتبات المغرية ، ولكنهم يرفضون ، وبسبب هذا يساقون الى السجون ، وتفرض عليهم الاقامة الجبرية .

اما سميح القاسم فهو من قرية الرامة بالجليل ، وقد ولد سنة ١٩٣٩ في مدينة الزرقاء ، حيث كان والده في قوة الحدود في الجيش العربي الاردني . وقد انهى دراسته الابتدائية في قريته ، وخلال هذه الفترة حدثت مأساة عام ١٩٤٨ . ثم انهى دراسته الثانوية في الناصرة . ومنذ ان شب سميح عن الطوق ، وهو يكافح ضد الطائفية ، فهو درزي ، وقد حاولت السلطات الصهيونية ان تستغل هذا الجانب ، لتمزق صفوف العرب المقيمين في اسرائيل .

وقد صدر لسميح حتى الان الدواوين التالية : مواكب الشمس (١٩٥٨) ، اغاني الدروب (١٩٦٤) ، ارم ، (١٩٦٥) ، دمي على كفي ، (١٩٦٧) ، دخان البراكين (١٩٦٧) ، سقوط الاقنعة (١٩٦٩) . وقد صدر سميح ديوانه « اغاني الدروب » بالآية الكريمة : « ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك اليوم حديد » . وصدر ديوانه « دخان البراكين » بعبارة (بريخت) القائلة : « حين يفرغ الحاكمون من كلامهم ، فسوف يتكلم المحكومون » .

واما توفيق زياد فهو من الناصرة ، وهو في حدود الخمسين من العمر ، وله بين يدي ديوان شعر بعنوان : « أشد على ايديكم » .

وقد وضع محمود درويش تعريفا لشعر المقاومة ، فقال : « شعر المقاومة ، كما افهمه ، تعبير عن رفض الامر الواقع .. معبأ بأحساس ووعي عميقين بلا معقولية هذا الواقع ، وبضرورة تغييره ، والايمان بامكانية هذا التغيير » . وهذا التعريف يصف بدقة شعر المقاومة في الارض المحتلة .

انهم يرفضون الامر الواقع ، ويردون على المنطق الملتوي الذي يتذرع به الاعداء ، ويكشفون دجلهم ، فيقول محمود درويش في وصف ما فعل الصهاينة بالفلسطينيين :

وضعوا على فمه السلاسل
ربطوا يديه بصخرة الموتى
وقالوا : « انت قاتل » ! !

اخذوا طعامه ، والملابس ، والبيارق
ورموه في زنزانة الموتى ،
وقالوا : « انت سارق » !!
طردوه عن كل المرافيء
اخذوا حبيبته الصغيرة
ثم قالوا : « انت لاجيء » !!

يا دامي العينين ، والكفين
ان الليل زائل
لا غرفة التوقيف باقية
ولا زرد السلاسل !!
نيرون مات ، ولم تمت روما
بعينيها تقاتل ! !
وحبوب سنبلة تجف
ستملأ الوادي سنابل

وهم رغم كل هذا لن يرضوا بالواقع ، وسيستمرون في الكفاح الى اخر قطرة دم ، فيقول سميح القاسم في قصيدة طويلة بعنوان : « خطاب من سوق البطالة » .

ربما تسلبني اخر شبر من ترابي
ربما تطعم للسجن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدي
من اثاث ... واوان ... وخواب
ربما تحرق اشعاري وكتبي
ربما تطعم لحمي للكلاب
ربما تبقى على قريتنا كابوس رعب
يا عدو الشمس ! .. لكن ، لن اساوم
والى اخر نبض في عروق ، ساقاوم

وشعرهم يدل على ارتباط عميق بالارض السليبة : بترابها ، وحجرها ، وشجرها ، وكل ذرة فيها . انه شعر ملتحم ، كما يقول محمود درويش « بكل ذرة من تراب ارضنا الغالية ، بصخورها ، ووديانها ، وجبالها ، واطلالها .. وانسانها الذي يظل مرفوع الرأس ، رغم ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينوء به كتفاه من اعباء ، وما يشد يديه وارادته من قيود .. انسانها الذي قاوم ولا يزال يقاوم الظلم ، والاضطهاد ومحاولات طمس الكيان والكرامة القومية والانسانية » .

ان هؤلاء الشعراء لا يكتبون عن المقاومة فقط ، بل يقاومون ايضا تحت اشرس الظروف . وانت تجد هذه المعاني كثيرة الترداد في شعرهم ، فيقول توفيق زياد من قصيدة بعنوان « هنا باقون » :

هنا على صدوركم باقون كالجدار
وفي حلوقكم ،
كقطعة الزجاج ، كالصبار
وفي عيونكم ،
زوبعة من نار
هنا على صدوركم ، باقون كالجدار

ولتوفيق زياد قصيدة رائعة بعنوان « على جذع زيتونة » ، ويبدأها بالاشارة الى مدام لافارج ، التي كانت تحيك بالصوف اسماء اعداء الشعب الفرنسي عام ١٧٨٩ ، لتقتص منهم الثورة بعد انتصارها ، وهذه هي القصيدة :

لاني لا احيك الصوف
لاني كل يوم عرضة لاوامر التوقيف
وبيتي عرضة لزيارة البوليس
للتفتيش ، و « التنظيف »
لاني عاجز ان اشتري ورقا
سأحفر كل ما القى
وأحفر كل اسراري
على زيتونة
في ساحة الدار .
سأحفر قصتي ، وفصول مأساتي
وآهاتي
على بيارتي ، وقبور امواتي ،
واحفر كل مر ذقته
يمحوه عشر حلاوة الآتي .
سأحفر رقم كل قسيمة
من ارضنا سلبت
وموقع قريتي ، وحدودها
وبيوت اهليها التي نسفت
واشجاري التي اقتلعت
وكل زهيرة برية سحقت
واسماء الذين تفننوا
في لوك اعصابي ، وانفاسي
واسماء السجون ، ونوع كل كلبشة
شدت على كفي
ودوسيهات حراسي
وكل شتيمة صبت على راسي
واحفر : « كفر قاسم لست انساها »
واحفر : « دير ياسين تشرش في ذكراها »
واحفر : « قد وصلنا قمة المأساة
لاكتنا ، ولكناها
ولكنا وصلناها . »
سأحفر كل ما تحكي لي الشمس
ويهمسه لي القمر
وما ترويه قبرة
على البئر التي عشاقها هجروا .
لكي اذكر
سابقى قائما لحفر
جميع فصول مأساتي
وكل مراحل النكبة
من الحبة
الى القبة
على زيتونة في ساحة الدار !!

واكثر ما يزعج شعراء المقاومة في الارض المحتلة ، صنفان من الرجال : اولئك الانهزاميون الذين يودون لو انهم خلقوا في غير فلسطين ، واولئك الذين تركوا وطنهم للغريب المغتصب ، وفروا الى البلاد العربية الاخرى ، ليعودوا الى حياة الترف ، وكأن شيئا لم يحدث . اما الصنف الاول من الرجال فقد اجاد تصويره محمود درويش في قصيدته « عن الامنيات » حيث يعرض اماني الانهزاميين ، ثم ينهيها بقوله :

يا صديقي !
كل نهر وله نبع ، ومجرى ، وحياة
يا صديقي ! ارضنا ليست بعاقر
كل أرض ، ولها ميلاد
كل فجر ، وله موعد ثائر !!

واما الصنف الثاني من الرجال ، فخير تصوير له نجده في قصيدة سميح القاسم « اليك هناك حيث تموت » ، وفيها يصور احد الافراد ، وقد ترك اسرته في الارض المحتلة ، ولجأ الى بيروت ، واثرى ، وعاش حياة مترفة ، ثم رسل الى اخيه رسالة يطلب فيها منه ان يترك وطنه ، ويأتي اليه في بيروت ، فيرد عليه هذا الاخ المتشبث بأرضه ووطنه ، ردا قاسيا . والقصيدة رائعة بحيث تستحق ان نوردها كاملة ، ولكنا سنكتفي هنا بجواب الاخ في الارض المحتلة ، الى من في بيروت ، وهذا هو :

رسالتك التي اجتازت الي الليل والاسلاك
رسالتك التي حطت على بابي جناح ملاك
أتعلم ؟
حين فضتها يداي تنفضت اشواك
على وجهي ، وفي قلبي !!
اخي الغالي !
اليك هناك في بيروت
اليك هناك .. حيث تموت
كزنبقة بلا جذر
كنهر ضيع المنبع
كأغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عمر
اليك هناك حيث تموت كالشمس الخريفية
باكفان حريرية
اليك هناك ، يا جرحي ، ويا عاري
ويا ساكب ماء الوجه في ناري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرآة نفسي

كل شعري قبسته من روحي　　ان روحي كطائر مذبوح
واذا الشعر أثخنته جروح　　كان في النفس وقعه كالجروح
فهو طوراً بركان غيظ عنيف　　وهو حينا كهمسة التسبيح
وهو حقا مرآة نفسي تعرت　　فيه نفسي وعبرت في وضوح
من عميق الوجدان او من ضميري　　كل ما قلت من قصيد فصيح
ريشتي صورت حقائق كوني　　وقريضي ما فاه غير الصحيح
ولصدق الاحساس في كنه شعري　　عشت في الناس شارداً كالمسيح
أو كطير أهيم من فرط وجدي　　في أعالي الربى وفوق السفوح
لو بسر الاوضاع صرحت يوما　　لرماني نحو الردى تصريحي
واذا ما انطوت خفايا شعوري　　بات يغني عنها صدى تلميحي

ليس بدعا اذا تمرد فكري　　ضاق صدري بما حوى من طموح
لا ولا من غرابة في انفعالي　　عصفت بالمنى صواعق ريح
وازالت يد القنوط لقلبي　　كل ما شاد من علي وصروح
واذا ما ارتديت ثوب الليالي　　بت أشكو من لوعتي ، من جموحي
واذا ما النشيج لون شدوي　　فهو من وحي غربتي ونزوحي
في محيطي ، في عالمي ليس الفى　　آدميا يحيا بقلب سموح
مطمحي قد أقمت صرح رؤاه　　لم يسعه مطاف وحيي الفسيح
غير اني لم ارتشف من شذاه　　فكأن الحياة للمستبيح
وكأن الامجاد حصة وغد　　في الزوايا يعيش عيش الكسيح
بيد ان الامجاد تحرز حتما　　بالضحايا ، وبالدم الممنوح
وكأني فلم أعش بؤس شعبي　　وبدنيا الفنون ما ذبت روحي
هكذا تعكس القصائد ظلا　　من هموم بها تفذت قروحي

بغداد　　**خضر عباس الصالحي**

اليك ، اليك ، من قلبي المقاوم جائعا عاري
تحياتي ، واشواقي
ولعنة بيتك الباقي !!

ولشعراء المقاومة في الارض المحتلة شعر رائع في كل ما يمس جوانب القضية الفلسطينية ، والقضايا العربية عامة ، فقد نظموا في حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، ومجدوا نضال شعب الجزائر ، وتغنوا بالوحدة العربية التي هي بالنسبة لهم قضية بقاء امة او فنائها ، فهي المنقذ للعرب مما هم فيه . وفي شعرهم نهر من الحزن ، والحنين لاولئك الاحباب الذين ينتظرون عودتهم الى الوطن ، والذين عرفوا باسم « اللاجئين » .

وفي شعرهم بعد حرب حزيران ، الم لما حدث ، ونقد للذات ، وتحليل لاسباب الهزيمة . وهم يرون في الفدائي الامل والنور الذي اشرق في ظلام الكارثة . ولمحمود درويش قصيدة بعنوان « وعاد في كفن » ، واخرى لسميح القاسم بعنوان « الرجل الذي زار الموت » وهما من خيرة قصائد شعر المقاومة .

ان الحديث عن شعر المقاومة ، وشعرائها لا يكفي فيه مقال واحد ، ولهذا فمن الطبيعي ان تبقى هناك اشياء كثيرة تستحق ان تقال ، ولكنها لم تقل .

« شعراء الارض المحتلة !

لو ان الشعر لدينا ، يقفون امام قصائدكم ، لبدوا اقزاما ... اقزاما !! »

عمان ـ الاردن　　**محمود السمره**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عودة الروح

الى الذين نعوني وعزوا بوفاتي أقدم هذه الكلمات (الدكتور احمد مطلوب)

في غسق الليل وفي اعصاره الرهيب
والموج مجنون يصارع السحاب والقمر
فينزل المطر
ويملأ القفار والبحار والدروب
دما يظل ينزف الدماء
والناس صرعى ترقب الضياء
وتسأل القمر
عن كوكب تاه وراء الافق الخضيب
ولم يعد ليملأ السماء
نورا يشق الليل والضياع
ويبعث الرجاء
في عالم يلفه الظلام
والحقد والدم
طويت احلامي بلا وداع
وصحت يا موج اقتلعني انا والمجذاف
ومزق الشراع
فليس لي في مهبط الاحلام
فجر يعيد العمر السليب

وفجرت عيون
تبتلع الملاح والسفين
وغصت في أعماقها ابحث عن تنين
يحملني في فكه لامين
وفتحت ابواب دنيا ما لها حدود
وانتفض الجلاد
والسوط في قبضته
ينساب كالنار على الاجساد
من شهد التعذيب في غياهب اليهود

او سمع الاخبار تروي قصة الجلاء
في القدس ، في حيفا ، وفي الجليل
في كل ارض نبضت عروبة بها
يعرف ما القاه من عذاب

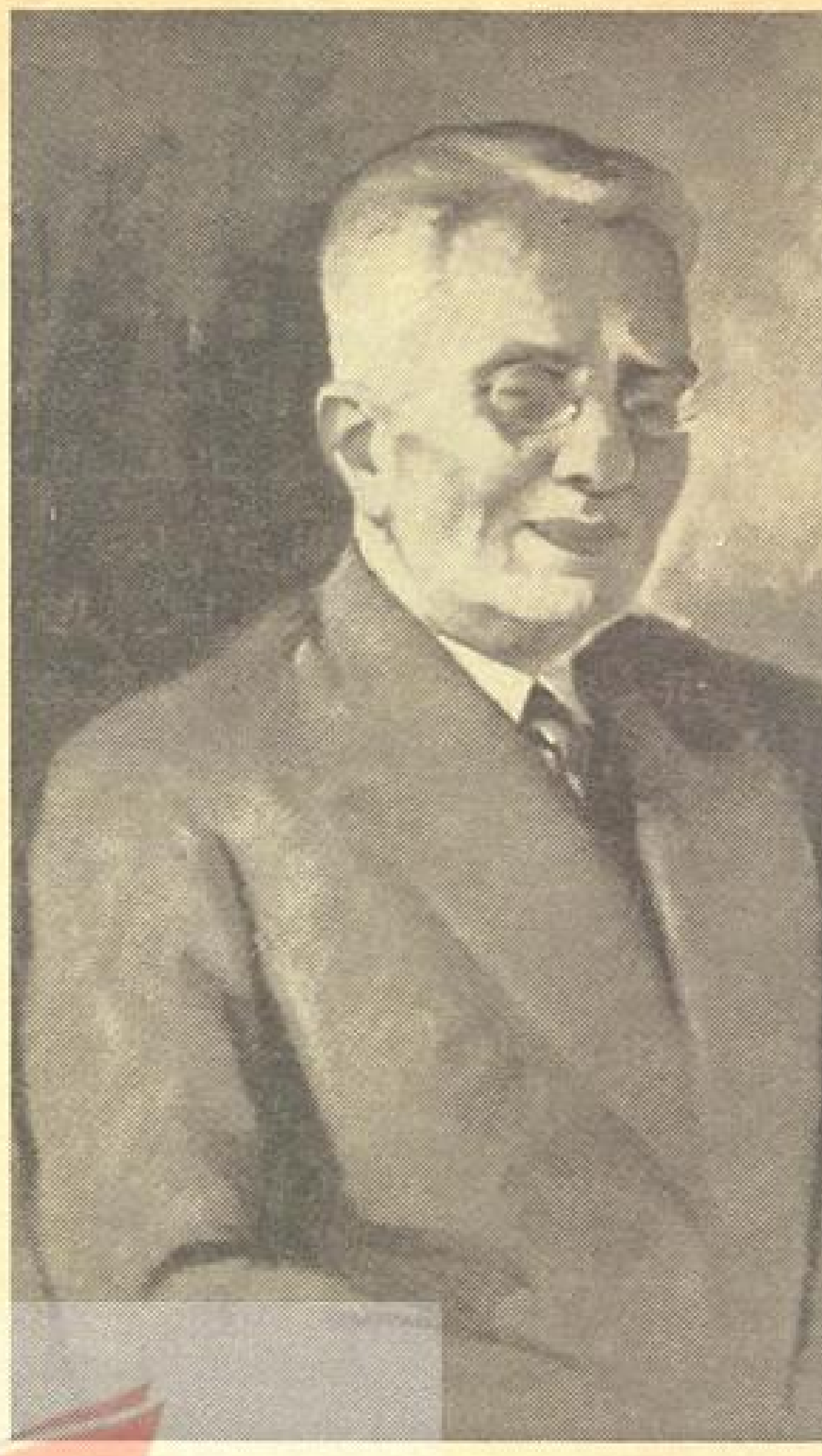
يا بقعة من عالم مجهول
لذت بها ألتمس العزاء
والحب والوفاء
لأنت أحنى من يد تمتد في الظلام
وتقطف الثمر
وتزرع الدمار في الحقول

وذات يوم ضحك القدر
واندفع الاعصار يطوي الارض والسماء
ويشرع الشجر
وينزل المطر
وعادت الروح الى القتيل
تسأل عما قيل في المساء
عن فتنة عمياء
تطوف في الحي بلا حياء
وتلعق الدماء

لولاك يا أغنية تطل من غدي
وزهرتان رفتا في برعم ندي
ما عدت للعالم من جديد
أقتحم الاسوار والحديد
والقيد في يدي

بغداد — احمد مطلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاخطل الصغير بشارة عبد الله الخوري

الاخطل الصغير

بقلم نسيب الاختيار

* * *

في زاوية من زوايا البرج . في بيروت . يقع مقهى ، انه ليس بالمقهى الكبير الضخم . الذي يغري الناس بارتياده والجلوس فيه . ولكنه كبير برواده الذين يقبعون في زوايـاه .

هذا المقهى البيروتي . عرفته وانا في مطلع حياتي . حيث كانت ايامي . تسير امامي . دون ان تلقى نظرة واحدة الى الوراء ، فتزرع في الارض ، في كل خطوة تخطوها ، غرسة ندية طرية . تتعهدها الاسابيع والشهور والاعوام لتصبح فيما بعد ذكريات آوي الى ظلها ، عندما تقف بي الحياة ، حيث انا الان .

وفي هذا المقهى الصغير . المنطوي على نفسه في رفق ، تعرفت على الاخطل الصغير ، وكانت تلك الفترة التي تعرفت عليه اوفر فترات حياته ، خصبا وغنى ، كانت قصائده ، شعر يغنى على كل لسان ، انها تلك الاغرودة الهامسة التي تريق على الشباب ، قطرات ندى ، ترقص لها احلامه وتتهادى آماله فيزهو بها على الزمان وتغدو حكاية من حكاياته . .

كنت اشعر وانا في مجلس الاخطل الصغير ، بأنني اطالع الغزل العربي ، عبر العصور ، صفحة صفحة ، فمن امرىء القيس ، الى عمر بن ابي ربيعة ، الى ابن زيدون ، انه شلال تاريخ ، ينحدر من بعيد ، ليستقر في هذا المقهى ، على تهدج صوت الشاعر الكبير ، وهو يتلو قصيدة من قصائده الجديدة .

ما من انسان ، يستمع او يقرأ شعر الاخطل الصغير ، الا ويقف على باب شعر العرب الغزلي ، ليطرقه ويلجه ، فبين الاخطل الصغير ، وبين تاريخ هذا اللون من الوان الشعر ، صلة قربى وثيقة تابعت مسيرتها ، في ازدهارموصول . . محققة في كل حقبة من حقبها العريقة، ارثا جديدا يضاف الى الارث القديم ، لينتهي بها المطاف الى هذه الثورة الوطنية الموفورة ، التي حضنها الاخطل الصغير .

لقد اعطى اولئك الشعراء الغزليون ، على مختلف نزعاتهم ، في تصور الاشياء وتصويرها ، الشعر العربي ، قلوبهم ، وما كانت قلوبهم التي تتأثر بالجميل والجمال ، هي وحدها ينبوع وحيهم ، كانت ظروف حياتهم التاريخية ايضا تخلع ذاتها على قلوبهم ، فلم يكونوا غرباء ، وفي عزلة ، عن مشاعر وعواطف تلك الظروف ، كانوا يعطونها ويأخذون منها ، فعكسوا دنياهم ، فطالعناهم في شعرهم، كما طالعنا في هذا الشعر عصرهم .

وكان كل واحد من اولئك الشعراء يضيف شيئا جديدا ، على من سبقه ، ينمي الغزل العربي ويغنيه ، وما كان في مقدور اي منهم ان يسبق عصره ، ذلك لانه كان مرآة عصره ، كان مادته وروحه .

هذا الارث الذي حوى كنوز زمنه ، وما زال بريقه يأخذ بأبصارنا ، هو المنهل الذي عب منه الاخطل الصغير ، وهو على طريق تفتح موهبه . ولكن هذا الارث الفني ، لم يخلع نفسه عليه ليجعله على مثاله كما جعل الكثيرين من الشعراء الذين فتنوا به ، كانت للاخطل الصغير ، شخصيته ، كما كان له عصره ، ومن لقاء هذا العصر وتلك الشخصية ، انبثقت شاعريته .

اتاحت ظروف لبنان التاريخية ، خلال القرن الماضي لهذا البلد العربي ، ما لم يتح لغيره من اقطار الشرق العربي ، فقد حققت على ارضه هذه الظروف ، لقاء بين القديم والجديد معا ، لقاء بين الارث العربي القديم والادب الغربي الحديث ، فقد ايقظ الوعي الوطني ، شعور لبنان بتاريخه ، فارتد بنفسه الى الماضي ليستعين به على تحقيق ذاته ، فالتقى الغابر بالحاضر ، ليحيا في جو عصر احياء يضع بين يديه ، ثروة ادبية ضخمة كانت البداية ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بداية تقليد ، لا يعبر عن شخصية لبنان التي يروي حكاياتها ويصور حياتها ، كان عودة الى الماضي ، في محتواه وشكله ، وعودة تأثرت الى حد بعيد بعصور الانحطاط .. وايقظ الوعي الوطني ، شعور لبنان ، فأطل على الغرب، يتلقف من ثقافته ، ما يؤهله للنهوض بنفسه الى مستوى العصر ، ولكن ما تلقفه ، كان على الاكثر يمثل عصرا غير عصره ، ومع هذا الفارق ، فقد كان ما تلقفه ، يمثل اتجاها جديدا ، ساعد هذا الاتجاه ، على التحرر الى حد ما ، من نزعة تقليد الارث الادبي القديم .

على ان الانفتاح على الغرب ، كان يسير بخطى حثيثة الى الامام ، فالتحرر من التقليد ، وخاصة آثار الانحطاط، دفع لبنان ، الى تقصي آثار عصر الازدهار ، في تاريخ الادب العربي ، فقد ادى ذلك الانفتاح الى تنمية لذوق الادبي واغنائه ، بحيث بات لبنان ، يبصر ويلمس ويحس القيم الادبية الحقة في الارث القديم فلم يعد الى تقليد ما تناهي اليه ، بل الى اتخاذه منطلقا الى الابتكار .

وكما ردد كوته عندما زار روما لاول مرة ، (الان ولدت من جديد) ، ردد كذلك لبنان ، عندما التقت افكاره ومشاعره ، بأفكار ومشاعر الاقدمين ، ردد لبنان ذلك على ضوء من ولادته الجديدة ، المتفتحة على ادب الغرب ..

على ان ادب الغرب الذي تفتح عليه لبنان . في خطوته الثانية . كان ادب الرومانتيكية الفرنسية التي يغلب عليها طابع العاطفة . اكثر من طابع الفكر . انها ليست كالرومانتيكية الالمانية التي انجبت « كوته » ولا الانكليزية التي انجبت « شيلي » انها رومانتيكية الوجدان التي انجبت « موسيه » واضرابه ، انها اقرب الى رومانتيكية الشعر العذري التي عرفها العصر الاموي .. ومع افتقار هذه الرومانتيكية الفرنسية الى الفكر ، فقد كانت شيئا جديدا في الادب العربي . سواء اكان ذلك في الشكل والمحتوى . وكان تقبل لبنان لها . نتيجة طبيعية . لحقبة تاريخية معينة . حقبة ظروف موضوعية انعكست على الشعر .

في هذا الجو الرومانتيكي . تفتحت شخصية وشاعرية الاخطل الصغير ، جو التحرر من تقليد عصر الانحطاط ، والارتداد الى عصر الازدهار ، واطراح الى حد ما ، ادب القرنين السابع عشر والثامن عشر في الغرب .

ولم يكن الاخطل الصغير وحده ، هو الزهرة التي فتح اكمامها هذا الجو . كان الشعر العربي في سائر البلدان العربية ، ينثر عبيره من حديقة الرومانتيكية . لقد كانت الرومانتيكية ، داء العصر في الوطن العربي كله ، الداء الذي يسير في ركاب الالم والتضحية ، موشحا بمناديل الشكوى والدموع ..

الهوى والشباب والجمال – محور شعر الاخطل الصغير ، ما من شاعر معاصر ، اشاد بهذا الثالوث ، اشادة الاخطل الصغير ، فقد عاش بهذا الثالوث وعاش له وصوره وعبر عنه بكل ما ينطوي عليه احساسه المرهف من رقة وعذوبة .

كان الاخطل الصغير فنانا بطبيعته ، يحيا في الفن في ذاته كما يحيا العطر في الزهر وكان شعره فيض ما يحور في الذات ، لم يتأثر بفكرة (استتيكية) ولا بنزعة (صوفية) وانما تأثر في شعره ، عما صدر عن قلبه ، فالاشياء التي تتراءى له يراها بعين ذاته .

على ان الذات عند الاخطل الصغير لم تكن ذات افكار – بل مشاعر – انها فراشة ترف لا تغوص الى الاعماق ، انها وهج الق يسكب النور في لمسات خاطفة وهي بسيطة – بساطة الجمال ولا تعاني عقدة كتلك العقد التي تطالعها لدى الكثيرين من شعراء الغرب ، ذلك لان الاخطل الصغير لم يعش المرحلة التي عاشها (بودلير) ولا (اليوت) ولا غيرهما من الشعراء الذين انعكست في قصائدهم ، مشاكل الحياة الكبرى ، فطبعت ذاتهم بطابع القلق والاغتراب والضياع .

كان الاخطل الصغير الذي عاش مشاعره ، يريق هذه المشاعر في شعره ، كما هي نجيش في ذاته ، فالعالم الخارجي بالنسبة له ، هو عالمه ، ومعاني الوجود هي معانيه ، ومع هذا الانبجاس الداخلي ، الذي نلاحظه في شعره ، فنحن لا نجد في قصائده ، ذلك الاهتمام البالغ بالذات فهو لا يصور اغوارها ولا يعبر عن ابعادها .

ولم يكن الاخطل الصغير ، شاعر تأملات ولا شطحات ، كان شاعر الحياة البكر ، يحسها ويلمسها ويراها بكل وجوده ، فهي تنبض في عروقه ، عرقا .. عرقا ، يؤججها الهام فني ، ملحمتها الكبرى ، اشواق ودموع وجوع ، وفرسانها نساك ، يرتلون انشودة الحب ، على مجامره .

وكان شأن الاخطل الصغير ، شأن الاوائل من شعراء العرب ، ينبجس فيه ، الاحساس المجنح ، فيعبر عنه بوضوح وبساطة ، انه بعيد كل البعد عن الاسلوب الرمزي ، ذلك لان الفكرة لباب الرمز ، والفكرة عند الاخطل الصغير خاطرة عابرة ، فهو لم يطرق باب (مالارمه) ولا انفتح على (فاليري) ولم يجنح في رد ماتتيكيته الى نزعة ، جنوح (فيني) الى (الرواقية) و (موسيه) الى (الجبرية) .

وكانت صلة الاخطل الصغير ، بالاوائل من شعراء العرب صلة وثيقة موصولة ، فهم الائمة ، والقدوة والنموذج ، ولكنه لم يكن مقلدا لهم ، ولا رجع صدى ، كان اصيلا في حلبتهم ، اصالة تميزه عنهم وينفرد بها دونهم .

وقد حيا الاخطل الصغير ، الارث العربي الشعري ، وخاصة في مجال الغزل ، مزيدا من المعاني الجديدة ، والصور الجديدة ، كان ذلك البرزخ بين القديم والحديث.

وكانت صلة الاخطل الصغير ، بالاوائل من شعراء

العرب من العمق بحيث انها جنت عليه . فبره بهم ووفاؤه لهم ، جعلاه ينهج نهجهم في استقلال البيت في القصيدة. فالبيت الشعري عنده في كثير من الاحايين ، يؤلف وحدة تامة في مبناه ومعناه .

والكلمة في شعر الاخطل الصغير ، مصطفاة مختارة، ما يزال يستبدلها بأخرى ، حتى تواتيه وهذا الكلف باصطفاء الكلمات بعد نظم القصيدة ، يفقد القصيدة في بعض المواطن عفوية الالهام ، فتبدو الكلمات كما لو انها رقع دخيلة .

وكان شعر الاخطل الصغير ، في مجمله ، شعر الربيع ، فلا اوراق متساقطة ولا غيوم متلبدة ، ولا لفحات محرقة ، وعاش شعره ، حياة الكثيرين من الناس ، وجد فيه الشباب حاضرهم والشيوخ ماضيهم .

هذا الشاعر الذي عاش الهوى والشباب والجمال . وتجلى في شعره ، وجودية ما عاشه ، لم يكن في عزلة عن حياة الناس .

كانت حياة الناس على المدى الاوسع من حياة الشاعر ، تشرئب بعنقها الى الحرية وتهفو الى تلك المعنى الجميل للحياة فمنذ قرون وقرون مديدة والناس في لبنان وغير لبنان ، من ارض العرب يصبون الى هذا المعنى الجميل ويتطلعون اليه .

كانوا يصبون ويتطلعون اليه لان الذين حالوا بينهم وبينه لم يسلبوه منهم فحسب بل حاولوا ايضا الحؤول بينهم وبين تاريخه العريق حاولوا ايضا قطع الطريق على ماضيهم وعزلهم عن هذا الماضي ومن شاركهم فيه . وعاش وإياهم في رحابه عبر التاريخ .

لقد حاول الحكم الاجنبي الذي ران على لبنان وغير لبنان من ارض العرب ان يحقق ذاك كله مفيدا من تجاربه العديدة في حكم الشعوب ولكن الناس في لبنان كانوا على درجة من الوعي الوطني لا تجدى معها تلك التجارب ولا تغني الاساليب المستحدثة كانوا على مستوى من الوعي اتاح لهم احباط ما يراد بهم وما يرسم لحاضرهم ومستقبلهم وانعكس هذا الوعي على الشعر فعبر شعراء لبنان في قصائدهم عن العاطفة الوطنية التي تمور في قلوب الناس وتتدفق ، لتغدو لهبا تحت اقدام اولئك الذين حاولوا سلبهم اعز ما لديهم واغلى .

غير ان المحتوى لتلك العاطفة الوطنية التي جاشت في صدور الناس كان محتوى سياسيا وحسب ، والمفهوم التقدمي لذاك المحتوى لم يعد ومضات مقتبسة من الثورة الفرنسية فقد اضاءت هذه الومضات حياة الناس وبثت فيهم إمالا جديدة ، وحملتهم الى افاق لم يسبق لهم ان ارتادوها ولكن الزمن في مسيرته التاريخية الكبرى كان قد قطع اشواطا بعيدة ، فانسان القرن العشرين لم يعد انسان القرن الثامن عشر ،ولم تعد افكار (فولتر وروسو ، ومونتسكيو) مؤهلة لاداء رسالة الشاعر ، فقد حدثت تحولات وتطورات في العالم بدلت القيم والمفاهيم والمثل ، وعلاقات الناس ببعضهم بعضا بحيث ان التحرر السياسي من الحكم الاجنبي وحده لم يعد مستوفيا عناصر التجاوب مع روح العصر . بات التحرر السياسي الذي لا يواكبه التحرر البناء تحررا غير مستكمل لمقومات الوطنية وكان زمن الاخطل الصغير زمنا مفتوحا لا تحجب فيه الافكار الجديدة ولا تسدل دونها السجف ولا تلفع بالطلاسم والاسرار فاذا ساغ في الماضي تبرير عدم توفر النضج التاريخي لدى الشاعر فان هذا التبرير لا يسوغ في الحاضر .

في هذا الجو الذي غلب عليه مفهوم الطابع السياسي لمقومات الوطنية عاش الاخطل الصغير وعلى هدى انواره نظم قصائده الوطنية . كان مثله مثل الكثيرين من شعراء العرب في ذاك الزمن عاش وعاشوا المفهوم الوطني لعقلية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وكان مثل الاخطل الصغير مثل اولئك الشعراء ايضا في التغني بامجاد الماضي وكان هذا التغني طبيعيا ومنطقيا فلم يكن بين ايدي الناس في ظل الحكم الاجنبي الا ذاك الماضي فهم يؤوبون الى رحابه ليجدوا فيه العزاء فتباكى الشعراء عليه كما تباكوا في الغابر على الاطلال .

ولكن اذا وجد الناس في الماضي عزاء فقد وجدوا فيه ايضا حافزا فقد كان هذا الارث الوطني ارثا مشرقا زاهيا اعطى الحضارة الانسانية اشياء كثيرة كما أسهم الى حد بعيد في دفعها الى الامام . والعودة الى مثل هذا الماضي تبعث في النفوس الطموح الى احيائه .

وقد حرك الماضي نفوس الناس ، ودفعهم الى احيائه من جديد . دفعهم ليحيوا ، اليوم امس وليجعلوا من الماضي حاضرا .

وانعكس هذا الطموح في شعر الشعراء ، وكان الاخطل الصغير احد اولئك الشعراء الذين جابوا آفاق الماضي العربي ليتغنوا به ويعزوا انفسهم بأمجاده ، وليجدوا فيه ينبوعا ثرا يلهم الشعب .

وهكذا عاش الاخطل الصغير حياة الناس في شعره ، عاش حياتهم في الهوى والشباب والجمال ، كما عاشها في الوطنية .

نسيب الاختيار

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمعة على القمر

من الديوان المعد للطبع : عبير من دمشق

كنت سرا مستغلقا كالزمان ... ونشيدا غنت به الشفتان
شغف الناس ما كتمت عن الناس ... قديما بكاذب من أمان
بنت عنهم فكنت في الناس ادعى ... لاحترام ورهبة في الجنان
فتن الناس بالخفي فتاهوا ... في غمار الخفي كالعميان
نظم الوهم عنك كل طريف ... وجليل من مشرق الالحان
وتلاقت على هواك قلوب ... شعبتها لواعج الاشجان
كنت للقلب في الظلام منارا ... ومعينا له على الحدثان
فنضا العلم سابقا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان
كنت دنيا من المنى لمحب ... وسميرا لحائر حيران
ومطافا تهفو اليه الاماني ... بجناح الخيال عن ايمان

كنت ملء الضمير في كل عصر ... ومنارا لخافق ولسان
صغت دنيا من الرؤى لم تطلها ... من قديم لذي الطموح يدان
خلب الناس زيفها فاستطابت ... أنفس الناس زيفها لافتتان
وجرت تقبس الخيال وتبني ... مشمخرا كالدهر ليس بفان
صاغت العرب من بهارجك السحر ... وجاءت بمعجز من بيان
فنضا العلم سابقا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان

ليت شعري ولم يعد ثم سر ... كان يخفى او غامض عن عيان
سبر العلم غامضا لك ما كان ... ليرقى بخاطر او جنان
كنت اعجوبة يطيش بها العقل ... ولغزا مستعصيا غير دان
فاذا أنت مسلس بقياد ... كأسير ونهب كل بنان
جعلوا منك سلما وأقاموا ... للاذى فيك حلبة الميدان
وطأ القوم بالسنابك غيلا ... واستباحوا ما عز عن عدوان
وجروا يقرعون غيلك من تيه ... بحد الظبا وكل سنان
ونضا العلم سابقا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان

يا نجي الزمان ليس على الدهر ... أمان ولات حين أمان
عظة الدهر في شعابك قامت ... كالجواري ودون كل مكان
قمت تسعى على المدى بعناد ... مستطيبا مرارة الحرمان
وألفت السكون في حلك الليل ... وعدو الاشباح في الوديان
في صحاريك مشرع ومقيل ... لسراب ومربع للزمان
وثوى الموت مقعيا يتلوى ... من لغوب بغلة الظمآن
قحم الغيل هازئين أناس ... بغمار المنون كالشيطان
ونضا العلم سابقا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقـولا يوسـف

محمد ناجي الفنان المصور

بقلم نقـولا يوسـف

* * *

كان الفنان المصور ، العربي السكندري ، محمد ناجي بين الرعيل الاول من رواد الحركة الفنية الحديثة التي تجلت في مصر منذ اوائل القرن الحالي ، وانفردت بطابعها في التعبير ودعت الى ربط أمجاد الماضي بيقظة الحاضر ، وبعث الفن الشعبي الممتد الجذور الى اعماق العصور .. وكرس ناجي حياته لخدمة الفن والنهوض بالمعاهد الفنية في بلاده ، طوال اربعين عاما في جهاد متصل ، وانتاج فائق ، وتنقل بين البلادوالاقطار ، وبين القديم والحديث .

وولد محمد ناجي يوم ١٧ من يناير ١٨٨٨ في بيت أبيه موسى ناجي ، على ضفة ترعة المحمودية بحي محرم بك بالاسكندرية .. وشب بين اسرة تتذوق الاداب والفنون ، فوالده يقرأ الكتب الادبية والعلمية ، وجدته تكتب الشعر ، وشقيقته الصغرى الفنانة « عفت ناجي » تتمرس بالرسم والتصوير ، وهو بفطرته مهيأ ليصبح الفنان الكبير .. والبيت يطل على الترعة والريف ، ويتوسط حديقة غنية بالاشجار والازهار .. وفناننا الصبي يستلهم ما حوله من طبيعة ريفية وبيئة شعبية .. وينفرد على ضفة الترعة تحت الاساطير القديمة ، ويكتب عنها بلغة شعرية ، ويعزف على العود والكمان ، محاولا التعبير بشتى لغات الفن ، عما يجيش في قلبه الفتي من احلام وآمال ، راح يجسدها في لوحاته الخالدة طيلة العمر ، وظل يصورها بقلمه في رسائله الخاصة الى أصدقائه وفي احاديثه وكتاباته ..

وأتم فناننا تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارس الاسكندرية ، ثم سافر عام ١٩٠٦ الى فرنسا للالتحاق بكلية ليون حيث درس القانون تلبية لرغبة أبيه ، وحصل عام ١٩١٠ على اجازة « ليسانس » القانون ..

غير ان ميله الفطري الى الفن وحده ، دفعه الى الالتحاق بأكاديمية الفنون الجميلة بفلورنسة في ايطاليا ، حيث ظل فيما بين ١٩١٠ – ١٩١٤ يدرس الرسم والتصوير ، ويتعمق لوحات الاساتذة في عصر النهضة .. وامضى فترة خلال ١٩١١ في سويسره يعالج من مرض الم به وقتذاك .. كما كان يقضي في بلاده بعض شهور الشتاء متنقلا بين الاسكندرية والقاهرة والاقصر باحثا وراء مستلهمات التصوير ، وتعود لوحته الباكرة « قطف البلح » عام ١٩١٢ الى ذلك العهد ..

كذلك عاش سني الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) فيما بين مرسمه بالاقصر ، ومرسمه « بدرب اللبانة » بحي القلعة بالقاهرة . وفي الاقصر كان يقيم مرسمه شتاء في قرية « القرنة » . وهناك يقوم بجولاته لدرس الاثار القديمة ويستوحيها صوره .. طائفا بالمعابد والاطلال المنثورة على ضفة النيل وفي الصحراء . وفي « طيبة » ومدينة « هابو » ، وبين أبهاء « الكرنك » ، ووادي المقابر ، ومعبد حتشبسوت .. متأملا الصور والرسوم المنقوشة على الاعمدة والجدران تحكي الاساطير وتروي أحداث التاريخ .. وثمت استوحى ذلك العالم السحري القديم عددا من لوحاته ، ومنها لوحته الكبيرة : « نهضة مصر » او « موكب ايزيس » وقد رمز فيها الى مصر ب « ايزيس » يتبعها شعبها في موكب حاشد ، والجموع تتقدم اليها بما لديها من ثمرات الزرع والعلم والفن ، والامهات يقدمن لها اولادهن .. (وقد زينت لوحاته ذات الطابع المصري القديم – وبينها صور «طيبة» ومعالمها ، الجناح المصري في المعرض الدولي بباريس عام ١٩٣٧) .

وارتحل فناننا الى باريس عام ١٩١٩ وهناك تعرف الى الفنان الفرنسي « التأثيري » كلود مونيه .. وأقام مرسما في بلدة « جيفرلي » بفرنسا واتجه في فنه الى « المدرسة التأثيرية » .. وبينما كانت اعماله الاولى تميل غالبا الى الفن « التنقيطي » ، ومع تقبله للفن « التأثيري » كان يفضل احيانا فن « جوجان » لبراعته في التلوين ، واقتبس منه تناسق الالوان حيث يحتفظ كل لون بروعته وجلائه .. كما انه برع في الفن « الكلاسيكي » .. ومع ذلك فقد أستطاع ناجي ان يحتفظ بشخصيته

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

الفنية ، ورأى ان انتقاء الالوان وتوزيعها ، واستخدام الخطوط ، واختيار الموضوعات يجب ان تتسم بالطابع الشخصي دون المحاكاة ..

وعندما عاد ناجي الى وطنه عام ١٩١٩ أسهم في الانتفاضة الوطنية المطالبة بالتحرر والاستقلال ، والداعية الى النهضة والتجدد ، بعدد من لوحاته الرامزة الى النهضة ، وفي مقدمتها اللوحة الكبرى السالفة الذكر : « موكب ايزيس » ، والتي نالت المدالية الذهبية في « صالون الفنانين المصريين » بباريس عام ١٩٢٢ .

وفي مدى اربع سنوات ، انخرط فناننا في « السلك الدبلوماسي » بوزارة الخارجية المصرية .. ورحل في يونيه ١٩٢٥ الى البرازيل ملحقا بالسفارة المصرية بريو دي جانيرو .. وهناك كان يمضي فراغه في تصوير معالم البرازيل ومناظر ريفها .. وانتقل منها عام ١٩٢٧ الى السفارة المصرية بباريس ، وتعرف الى الرسام الناقد الفرنسي اندريه لون ، وظل هناك حتى عام ١٩٢٩ .. وفي ذلك العام مثل بلاده في « مؤتمر الفنون الشعبية » في براج ، والقى فيه خطابا بالفرنسية دافع فيه عن فن بلده وبخاصة فنونها الشعبية وواجب تقديرها والنهوض بها ، وختم كلمته بقوله : ــ

« .. واني اود ان اعبر عن املي ورجائي في ان تستعيد فنوننا الشعبية سابق حيويتها ونشاطها ، ولا سيما بعدما لاقته من عنت بسبب ترفع بعض مواطنينا الذين يأنفون من كل ما هو شعبي ، ويفضلون عليه الفن الدخيل ، وان كان الفن الشعبي كما سمحت لنفسي ان اعرفه : هو الصورة التي يتجلى فيها احساس كل شعب وقوة ادراكه الخاصة ، والتي يعبر بها الفرد عن مشاعره المكنونة ، فيخرجها الى حيز الوجود في صورة تشكيلية او موسيقية .. وارجو ان يفسح لهذا الفن مكان في دراسة الفنون الجميلة حتى تكتسب بفضل ما يحدثه في نفوسنا روح الابداع والتجديد ... »

وفي عام ١٩٣٠ استقال ناجي من الوظائف الدبلوماسية ليتفرغ الى رسالته الفنية والانتاج الفني بقية حياته ..

ورحل عام ١٩٣٢ في بعثة فنية رسمية الى اثيوبيا حيث امضى سنة صور خلالها الحياة في البيئة الاثيوبية ، ومناظرها وتقاليدها وحفلاتها ، ورسم امبرطورها واسقفها في نحو خمسين لوحة زيتية تتجه الى الاسلوب « التأثيري » ، عدا حوالي ثلثمائة من الرسوم ذات الالوان المائية والقلمية ، ومن ذلك مناظر «أديس أبابا» وضواحيها ، والنجاشي على جواده ، ووجوه حبشية لرجال ونساء ، وأحد السعف ، والسوق ، ومحكمة في الهواء ، ومسرح حبشي ... وغيرها .

كما قام برحلة فنية الى بلاد اليونان ومقدونية وقبرص ورسم هناك عددا من الصور ..

واسس عام ١٩٣٤ « أتيليه » الاسكندرية ، وضم جماعة من الفنانين والادباء ، واختير رئيسا له ..

وفي العام نفسه عهدت اليه جمعية المؤاساة بالاسكندرية برسم بعض لوحات لتاريخ الطب ، لوضعها في بهو مستشفى المؤاساة بالثغر ، وقدم لها ناجي اربع لوحات تمثل الطب عند العرب ، والطب في الريف ، والطب عند قدماء المصريين ، ولم تزل هذه اللوحات معروضة هناك ..

واقيم له معرض في لندن عام ١٩٣٥ واقتنى احد النواب لوحته : « احد السعف في الحبشة » واهداها الى متحف « تيت جاليري » بلندن ..

ووضعت لوحته : « عصر احياء الفنون » في احد ابهاء مجالس الامة بالقاهرة .

وعين ناجي عام ١٩٣٧ مديرا لمدرسة الفنون الجميلة العليا بالقاهرة (كلية الفنون الجميلة) ــ فكان اول عربي يعين مديرا لهذه المدرسة .. وفي عام ١٩٣٩ عين مديرا لمتحف الفن الحديث بالقاهرة ..

وعاد عام ١٩٤٠ الى الاقصر ، وكان اول من عرض انشاء مرسم لطلبة مدرسة الفنون لدراسة الفن المصري القديم .. وفي يناير من هذا العام نشر له حديث يقول فيه « .. لا ريب ان تاريخ مصر العسكري جدير بعناية الفنانين المصريين ، اذ في تسجيل هذا المجد في لوحات الفن احياء له وتبجيل لذكرى رجاله الذين بذلوا من دمائهم وجهودهم ما يشهد لهم بالبطولة والنبوغ » ..

وانتدب عام ١٩٤٦ الى « مؤتمر الادباء والفنانين » بلندن .. ثم سافر الى اسبانيا لتصوير بعض مناظرها .. وعين عام ١٩٤٧ مديرا لاكاديمية الفنون الجميلة برومه ، وظل برومه مستشارا ثقافيا لبلاده حتى عام ١٩٥٠ ثم رجع الى بلاده لينشيء عام ١٩٥١ « جماعة الاتيليه بالقاهرة » وانتخب رئيسا له ..

واخيرا رأى ان يستقر في وطنه ، فبنى عام ١٩٥٢ مرسما خاصا يتوسط حديقة في بقعة من الصحراء تشرف عليها اهرام الجيزه ــ وسط الهدوء وذكريات التاريخ .. وزين مرسمه هذا بلوحاته ، وذكريات رحلاته ، وببعض اعمال كبار الفنانين . وعاش في هذا المرسم نحو اربع سنوات استكمل خلالها بعض اعماله ، غير أن القدر لم يمهله طويلا ، فودع الحياة في مرسمه يوم ٥ من ابريل ١٩٥٦ ــ في الثامنة والستين من العمر ــ ودفن في الاسكندرية .. وتحول مرسمه هذا الى متحف خاص به تشرف عليه وزارة الثقافة ، ويجتمع فيه الكثير من آثاره وذكرياته ولوحاته ..

وقد عمد مواطنوه عقب وفاته الى تخليد ذكراه

---

(١) كتاب : « الحياة الشعبية في رسوم ناجي » لسعد الخادم (١٩٦٥) ــ ومقالة : « ناجي بين الاسكندرية مسقط رأسه وطيبة وحيه الاصيل » لعفت ناجي .. (المجلة بالقاهرة يناير ١٩٦٩) ــ وفن ناجي لبدر الدين أبو غازي ــ دراسات .

غـدا

الى التي اقفلت عينيها المكدودتين وهي تسألني متى نعود ؟ .. فاقـول غـدا ..
الى الراقدة في تراب غريب تنتظر ان نعود بها الى ترابنا هناك ... الى أمـي

غـدا يا لشوقي ليـوم الغـد
غـدا تبزغ الشمس في الموعد
وبعـد الدجـى
تـلألأ شمس الشريـد

غـدا يزحف الركب من كل حدب
يطهـر اقدس تـرب
ويحمل اجداث امواتنـا
لتدفن تحت الثرى الطيب

غدا يا دمـاء الشـهيد
سـنثأر ممـن تجنـى
يـدوي النفـير
ورايـاتنـــا
أمـام المواكب خفاقـة

تزغرد كـل النساء

تهز البطولـة اطفالنـا
ليمسوا بلمحـة عين شـبابـا
وتقـدح من شرر العـزم
في كـل جسـم

غدا يا بلادي مهما تجنوا
ستشـفى الجـراح
وتصبح خيمتنـا ذكريات
وننسـى النـواح

غدا .. وتأجـج يا شوقنـا
ليـوم الغـد
وحث الخطى يا محجـل .. اسرع
فانا مع الموجد في الموعـد

اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعث تراثه ، فالى جانب تحويل مرسمه في صحراء الاهرام الى متحف قومي ، أقام « المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب » معرضا شاملا لاعمال الفنان الفقيد بمتحف الفن الحديث بالقاهرة ، وانتج فلما سينمائيا عن حياته واعماله ، ونظمت الفنانة « عفت ناجي » عام ١٩٦١ في الذكرى الخامسة لوفاته معرضا لرسومه ولوحاته مما لم يسبق عرضه .. واخذ النقاد يكتبون عن فنه الابحاث والمؤلفات .. (١)

وكانت قد اقيمت المعارض لاعمال محمد ناجي في القاهرة والاسكندرية واثيوبيا واوروبا ، ومونتفديو عاصمة أورجواي بأميركا الجنوبية ، وفي رومة عام ١٩٦٣ .

واستأثر مسقط راسه ـ الاسكندرية ـ بعـدد من لوحاته ورسومه . فمن رسوم بالاقلام الملونة لشتى مناظر ترعة المحمودية ، مراكبها الشراعية ، وضفافها الريفية ، ونخيلها وقروياتها .. الى صور لشاطىء الميناء الشرقي ، وبستان بالاسكندرية ، وفتاة من الثغر .. الى لوحات مستشفى المؤاساة عن الطب القديم .. وتـزدان اليوم قاعة الاجتماعات بمحافظة الاسكندرية بلوحته الكبيرة : « مدرسة الاسكندرية » التي جمع فيها الفنان أشـهر الشخصيات القديمة والحديثة في العلوم والفنـون ، وتتوسط اللوحة فتاة ترمز الى مدينة الاسكندرية وحولها الاسكندر مؤسس المدينة ، والفلاسفة والعلماء والشعراء والفنانون ممن يمثلون الحضارات التي مرت بالمدينة ، اغريقية وعربية ، الى يومنا هذا .. كمـا ترى في هـذه اللوحة الكبرى بعض معالم الاسكندرية القديمة والحديثة، المكتبةالقديمة ، والموزيوموالميناء الشرقي ، وقلعة قايتباي، ومسجد ابي العباس المرسي ..

وتابعت شقيقة الفنان وتمليذته ، المصورة الفنـانة « عفت ناجي » رسالته واخذت تصهر احاسيسها الخاصة تجاه التراث العربيوالشعبي في قالب معاصر ، مستخدمة في لوحاتها الالوان الصريحة التي تمتاز بها طبيعة بلادها وتاريخها ومتاحفها .

لقد مضت اليوم ثلاثة عشر عاما على وفـاة الفنـان العربي الكبير محمد ناجي وما زالت لوحاته المنتشرة في الشرق والغرب قيد الدرس والنقد والتقدير .

الاسكندرية — **نقولا يوسف**

اصـــداء

بقلم اديـل الخشن

★

معك ، وبعيدة عنك يا حبيبي
همومك تقصيني ...
وسماؤنا التي تمطر العتمة
تحجبـك عنـي ...

كيف غدونا نتخبط كالغرقـى
نبحـث في الزوايـا المنسـية
عن عكـاز مصلوب
نتيه في دروبنا دون بصيص ضوء ،
نهفـو الى سراج ،
نعلقه في سقف الكوخ ! .

غنني يا حبيبـي ،
أنشد لـي شـعرك
مـد لـي صوتك ،
لاحني راسي تحت قبابه
لاجثو على حنين نغماتـه
ليعبر صوتك الي في دنيا اغترابي
ولترو همساتك جفاف الصحارى ! .

يوم التقيتـك ،
اسمعتني نشـيد الانشـاد
وغنيت مزامير النجـوى
فاشتعل الخصب يتدفق كالنار
والسنابـل المثقلـة ،
توهـج ذهبهـا تحت مراوح تموز ،
وذاك الوله الغافي
تململ فوق اهدابي الممتدة
يحملك الـي
عبر شلالات الصمت المنهمرة .

مدننا التي تملؤها المآذن والاجراس
تنتصب فيها الاعمدة !
ويرنحها دوار ابكـم .

بعد الخامس من حزيران ،
كنت معكم في حلقة الجباه المحنية ،
رأيت كيف تضيع الزفرات ،
وكيف على طاولة عاريـة
اذبتم ضراعة الاجفـان
وبعد مرارة الصلب
طويتم ايديكم الى الوراء
وظلـت المباخر تـدار
وظلت المجالس تختنق بدوائر الدخان !

بعد الخامس من حزيران طال بعدك ،
وعيوني مشدودة اليك ،
كم احب ان يطل علي طيفك
ان اشرب كلماتك المهموسة
واسمعك تقرأ قصيدة حب ،
كم اشتاق الى رقصات الغيوم على اهدابك
والى اصداء انغامك في اعماقي ،
انشـــد ،
فيورق اليباس في قلبي
وينبض الحجر لتسابيحك ،
انشد لتتفجر ينابيع الضوء
في نوافـذ الليـل
وتساقط على يديـك
تساقط التائه في واحة الظل .

دم حزيران الاسود يصبغ كل شهورنا
وانـت كالمدخنـة
تعيش في معانقة اللهـب
كـالبركـان
تقذف احشاءك في معاناة .

تعال ازح ستائـرك
وتسلل الي ايها الغائب ،
خذني الى صـدرك
لاستشرف آفاق الضوء
ولنهاجـر معـا
الى تلك الارض الاستوائية
حيث ينهمر المطر
بعد استعـار اللهـب
في مرايـا الغبـار .

الشويفات ـ لبنان اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طالت صلاة ابي ، واستمر دعاؤه .. يفتح يديه ويرفع رأسه ، ثم يركع في استغراق . ليلة الامس كانت سهرة وداع .. وضعت امي كل ما عندها للعشاء ، وصنعت كثرة من انواع الطعام ، وتفننت في ترتيبه .

— غدا تسافر .. كل .

اكلت .. حدثت اخوتي عن كل شيء .. جعلت نفسي واعظا ، ورحت احكي دون انقطاع ، على الرغم من انني احب الصمت . كانت بي رغبة ان اقول لهم كل ما في صدري . عيونهم تقتل وجهي ، تقتتل في عناقه . امي اوصتني الا اقطع الرسائل .. وبكت . كنا نأكل ببطء .. فامتد العشاء طويلا . لم يحك والدي شيئا كما عهدته ، ظل صامتا يلمس بين حين واخر شاربيه الطويلين ، ويفرك ذقنه ، ويكشف قبعته عن رأسه ليتظاهر بمسحه .. ثم هو يسعل سعالا ناشفا . اخي الصغير جلس طوال السهرة قربي ولم يفارقني . سبقني في الحديث الساذج ، وامطرني اسئلة محرجة .. وقبل ان يتعانق العقربان عند الثانية عشرة اوصيتهم الا يستيقظوا باكرا . ولم يستطع النوم قهر عيني .. لم اترك شيئا تافها في حياتي لم اتذكره .. شريط طويل من الذكريات والاحداث وصور الطفولة الباهتة .. وعند الرابعة صباحا كانت حركة بطيئة تتسلل عبر غرف بيتنا الصغيرة .

لصقت انفي بزجاج النافذة المشرفة على حديقة الحي .. الظلام المذعور يتراجع ، وكل شيء ساكن .. اخرس . ووراء الحديقة لا زالت اشباح البيوت الجميلة الملونة النوافذ ، وذات العرائش الذهبية ، تغط في احلامها . ولم يكن سوى صوت نافورة البركة المرمرية التي اطرب لسماعها لانها تذكرني بصوت البحر فتدخل الراحة الى نفسي ، وصخب عصافير الصباح يدغدغ جنبات الحديقة من فوق اغصان ندية . كل تلك البيوت سأغادرها هذا اليوم .. وهذا الشارع الضيق الذي امضيت طفولتي وانا احلم بان اكون احد قاطنيه سأودعه لاحلم بلقائه .. بلقاء جارنا العجوز ، ناسج الحكايا وقارىء الكف .. ولقاء اطفال حارتي الصغار الذين علمتهم لعبة «اليهودي المرعوب» ليضحكوا . حتى حارس المبنى الاعور اشعر الان بحزن لفراقه ، في حين كنت اتجنب النظر الى سحنته الملوثة بالشعر الغريب والعاهة . قلت لاخي الصغير :

— الم اقل لك ان تنام ! ..

سكت .. لعله لم يسمعني ، ولكنه سألني بسرعة واهتمام غريب :

— ستركب الطائرة ؟ !

ابتسمت له ..

البنادق الطويلة

بقلم جهاد الكاتب

— طبعا .

قال وهو يمثل بيديه شكل الطائرة التي تنقض :

— وتقتلهم كلهم ..

— كلهم .

سألني باطمئنان والفرح الساذج يلون جبينه وخصلة شعره الفاحمة :

— وبعدها ؟!

— سأعود ..

أمسك يدي ، ونبهني الى امي التي وقفت في زاوية الغرفة تصلي بتبتل تام .

قال اخي الصغير :

— من الغد .. سأصلي مع امي .

ضحكت ، وقلت له :

— لماذا لا تصلي من اليوم !

اختفى وهو يكتم فرحا غريبا .. وعاد يحمل حصالته ، افرغها على الطاولة وابتسامة تقطر من شفتيه وعينيه :

— ستشتري لي بندقية صغيرة من الشام ..

— سآتي لك ببندقية طويلة ..

— تقتل !!

وجوههم لا زالت في عيني ، وجوه صارمة .. شوارب سود ، وعيون تقدح رجولة ، رؤوسهم ملفوفة بمناديل عربية منقطة .. طوال القامة ، وعلى خصر كل منهم خنجر ، وعلى كتفه تتدلى بندقية طويلة ، ويوشح صدره شريط من الجيوب الجلدية ذات الاسنان الصفراء . وقفت يومها مع ابناء حينا القديم نتدافع بين سيقانهم المشدودة اليها بناطيل قاتمة تنخرط في أحذية غليظة سود . لمست خنجر احد الرجال .. لمست عقب بندقيته الطويلة ، فابتسم لي ، وقال وهو يدفعني بلطف :

اذهب الى البيت .. امك تفتش عنك ..

كنا نلتف حول باب واسع لنرقبهم وهم يدخلون ويخرجون ..

— انظروا .. على أيديهم خرق بيض !

— الى اين يذهبون .. ؟

— الى الحرب .

— سيقتلون اليهود !

وتطرب صدورنا .. سيذهبون الى الحرب .. وتتعاظم النشوة فيها ، ويروح كل منا يقلدهم . حمل كل منا قضيبا من الخشب او غصنا يابسا وربط أوله واخره بخيط ثخين ، وتقلده على كتفه .. رسمنا على وجوهنا بالفحم شوارب وعكفناها ، ووضعنا شرائط بيضا فارغة من الكتابات على سواعدنا .. مثلنا

قصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحرب .. تحاربنا دون ملل . وفي يوم اختفى هؤلاء الرجال وغلق الباب الواسع .

ولحظنا ان الرجال يلتفون حول اجهزة المذياع في السوق :

ــ صارت الحرب ..

وانتظرنا ان يعود الرجال لنلمس بنادقهم ، ونحملق في وجوههم المغبرة القوية ، ولم يفتح الباب العريض لان الرجال لم يعودوا ، وظل البكاء يخرج من بيوت حينا ، فعرفنا ان الحرب انتهت .

في حلقي غصة .. وعلى شفتي ابتسامة مسروقة ، ان لحظات الوداع تقهرني دوما ، فهي اللحظات التي لا يمكن لانسان الا ان يصدق عواطفه معها . كم حاولت أن اثني أهلي عن هذه اللحظةولكنني اخفقت. حاولت ان اكون محدثا كليلة الامس .. فأخفقت مرة ثانية ..

كان اخي الصغير يلاحقنيبفضوله واستفساراته ويسكبها في اذني :

ــ الن تأخذني معك ؟!

ــ سأذهب بعيدا ..

ــ كيف ستقتلهم ؟!

ولم ينتظر جوابا ، اذ تابع :

ــ لماذا يذبحون الاولاد ..

قلت له بهدوء :

ــ وحوش ..

ــ هل لهم قرون واسنان ؟ !

ــ ليس لهم قرون .. ولكنهم وحوش .

ليسوا مثلنا .. عيون صغيرة يأكلها الخوف والحقد ، وانف ناعم وشفتان رقيقتان وشعر باهت واصفرار في الوجنتين .. وذقون دقيقة تنقط لؤما وجبنا .. انهم لا يشبهونالانسان . لقد عرفتهم عن قرب ، لان حيهم كان يلاصق حينا . لم نكرههم ونحن صغار .. ولكننا لم نتجرأ يوما ان ندخل أزقتهم الطويلة الملتوية ، والرجال وحدهم يدخلون الحي نهارا ، ويتسللون اليه ليلا ليعودوا مع ضوء الصباح . كيف لا نخاف ازقتهم وهم يخطفون الاولاد ... كنا نغمض أعيننا عندما كان أهلونا يهددوننا باليهودي الذي سيخطفنا ! . كم كنت ارغب دوما ان يصطحبني والدي معه عبر الحي الاسطوري، فأمسك يده .. اتشبث بها وانا استعرض وجوههم المغبرة واتحداهم ان يخطفوني ، واراقبهم وهم يصطفون مساء على كراسيهم امام ابواب قصيرة ، يتهامسون ويراقبون المارة بعيون تسيل خبثا ، وشفاه يضحكها اللؤم والدناءة ، وجباه يرتع عليها العهر ..

المراة العجوز اليهودية يتراقص شبحها امامي .. صوتها مواء قطة شرسة .. طويلة الساقين ، ذات شاربين ناعمين ، واذنين يتدلى منهما قرطان صفراوان .. وصدر نصف عار .. وثوب كالح وسخ . مررت وحيدا من الحي مسرعا ، بعد ان راهنت رفاقي على عبوره ، وقرروا ان ينتظروني عند مدخله الغربي .. استوقفتني العجوز في الزقاق الضيق ، في عينيها احمرار ، وصفعتني :

ــ لماذا ضربت موسى ؟!

لم استطع الهرب .. أمسكت يدي فصرخت .. صرخت وهي تطبق فمي بكفها المتعرق .. جرتني الى مدخل البيت .. فقاومت ، ونهرها صوت رجل خشن :

ــ اتركي الولد ..

صفعت وجهي ، وصرخت :

ــ سرق الفرنك من موسى .. حرامي .. كلب ..

بكيت ، وسال دم غزير من انفي . كرهتهم لانهم يحبون الدم ، وتمنيت أن اقتلهم جميعا . يجب الا يبكي اخي الصغير .. ان يظل فمه نظيفا لا تلوثه كف امراة يهودية .

تشاغلت بتفقدحقيبتي .. افرغت حوائج كثيرة منها ، فلن يلزمني منها سوى بذة واحدة ، سيأكلها العرق والغبار ، وتمتص لونها شمسمحرقة ولكنها لن تهترىء . منذ يومين قال لي جارنا العجوز قارىء الكف ، وهو ينقل بصره بين كفي المبسوطة وعيني .

ــ لم ار مثل كفك في حياتي ..

دقق بصره باهتمام .. ودفع نظارته السميكة الى الوراء :

ــ طريقك مسدود !

ــ كيف عرفت ؟

لم يجب ، فضحكت . تلك هي المرة الاولى التي اسمح فيها لنفسي بارتكاب هذه الهفوة المسلية .. ولكنني الان اشعر برغبة ملحة ليقرا كفي بهدوء واسمعه بجد وانتباه :

ــ هل تستطيع ان تتنبأ ؟

ظل صامتا ولم يضفشيئا ، بينما انا اراقب شفتيه الذائبتين ، وطربوشه الاحمر القاتم الذي يثير في نفسي حوادث تاريخية قديمة لا ادرك مبعثها او مدى ارتباطها بهذا الغطاء الغريب .. صورة والدي الكبيرة المعلقة في البيت شاب في العشرين يرتدي ثوبا عسكريا ضيقا ، وجعب منوعة تتدلى حول خصره المعصوب بحزام جلدي عريض .. طربوشه مائل وبندقيته طويلة تصل الركبة .

اذكر حديث والدي عن الحرب .. في عصرنا كنانهرب من الجندية ، ويختبىء الشبان في القرى ، او يهجرون البلاد . كنا ندرك حين نذهب اننا لن نعود ، وكانت أمهاتنا يلاحقن القطار الراحل بالدموع ، وكن يدركن انهن يودعننا الوداع الاخير . لم نكن ندري لماذا نقاتل ، ومن نقاتل ، ولماذا يجب ان نموت بعيدا عن بلادنا بلا قبور صغيرة تحنو علينا .. كل ما نعرفه انه يجب ان نحارب وان نموت ، لان اناسا لا نعرفهم ارادوا لنا ذلك .

عندما دقت الساعة الخامسة ، وحان موعد قدوم السيارة التي ستقلني الى مكان بعيد ، شعرت بارتياح غريب يتسلل قلبي .. احب كل الناس ، حتى الذين شاجرتهم يوما .. حتى الذين عبأوا صدورهم بغضا احببتهم . رددت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امي :

– لا تنس الرسائل .

– سأكتب كل يوم رسالة ..

قلت هذا ، ويقيني انه لن يتاح لي وقت اكتب فيه سطرا . ابتسمت امي .. قبلت جبيني ، فتصاعد الحب في صدري .. حب يحطم كل شيء ..

– خذ .. دعه معك دائما ..

ناولتني مصحفا صغيرا في رداء كتاني أنيق ، فاستقبلته بقبلة وغيبته في سترتي مرتاحا . قلت لاخي الصغير اداعبه :

– اذا لم تكتب لي رسالة لن أحضر لك بندقية طويلة ..

قبل يدي . وقال متسائلا :

– لن تنساني .. الا أحبك ؟!

من أجلكم انتم ايها الاطفال يجب ان نموت ، من اجل بركة الماء المرمرية والاشجار الدائمة الاخضرار والبيوت الحالمة وعرائش « العسلة » .. لتبقى كلها تضاحك الاطفال .. من أجل ان تظل لهم حدائق يجب ان نموت .. حدائق يلعبون فيها ويمرحون ويتمازحون ، حدائق لا تمزقها كتل الحديد الحاقدة ، من أجل ان ينام هؤلاء ليلة العيد بعيون حالمة ليستفيقوا على قبلات امهاتهم .

خرج والدي عن صمته .. قال بصوت هاديء غارق في الايمان والثقة :

– الله يحميكم ..

ورددت امي معه :

– الله يحميكم ..

سرق خداي دمعتين من عيني .. ظلت الكلمة تتردد في رأسي وتلفه بوشاح من الخشوع . وقف اخوتي جميعا في صمت وكأنهم في حداد ، ورحت اقبلهم جميعا ، ووددت ان اقول كلمة واحدة ولكنني عجزت .. لم تنسب همسة من بين شفتي .

انحنيت وقبلت اخي الصغير ، مصطنعا الابتسام ، فتعلق بعنقي وقبلني بعنف .. قبل وجنتي .. جبيني ، وذقني ذات الشعر الخشن

لست انسى

لوعتي أني من الاحباب أقسى ،	بعدما جرحت وجدانا ونفسا
وانا أحيا بنار غلغلت	في دمي شوقا، وفي الخدين ورسا
كل ايامي مرارات هوى	بدلت بي رقتي نارا وبأسا
انه القلب تكوى ، فانثنى	يحتسي نار الجوى ، كأسا فكأسا
كلما جفت بعين دمعة	توشك الاهات ان تدميه بؤسا
كم نشدت الحقد ، لا الحب ، وما	كنت الا حافرا للحقد رمسا
قيل لي : خل العذارى ، وانسها	وادر للحلم ، في دنياك ، عرسا
قلت : اني ان تجاهلت الحلا ،	او تناسيت الهوى كرها ويأسا
كل حرف ، في فمي ، رجع صدى	بذكر الماضي ، فكيف اليوم أنسى

فوزي عطوي

التي كنت أعاقبه بها عندما يرتكب ذنبا .. كيف يقتل الوحوش الاطفال ؟

لم نقتل احدا منهم ، بل أخبأناهم في بيوتنا . فيوم علم المذياع مأساة « دير ياسين » ، وسمعنا ونحن صغار ان اطفالا ذبحوا على صدور أمهاتهم .. وان صغارا ماتوا قبل ان يخرجوا الى الدنيا .. قبل ان يعرفوا معنى الحقد .. ثار الناس ، ثاروا ولم يجدوا ما يعزيهم ، وما يطفيء حزنهم ويبرده ، حزن الاباء والامهات .. وفي قمة الثورة قامت جماعة لتقذف النيران الى بيت يهودي قيل انه من الاثرياء الذين يغذون اعمال القتل .. تجمعنا امام البيت ، في صدورنا نار اشد لهبا من النيران التي تأكل البيت .. واستنكر كثير ان يسيطر الحزن على طبائعنا فيقلبها . عندما عدت الى البيت بعد مشاهدة الحريق وجدت طفلين وامراة عرفت انها الخياطة التي كنت أذهب اليها مع امي . الخوف يقطر من عيونهم .. وامي تهدئهم وتبتسم وتقدم لهم طعاما .. أذكر انها قالت لها :

– لن يصيبك شيء وانت بيننا .

ظلت مقيمة عندنا اياما ، وسمعت بعد ان غادرتنا انها هربت بعد ان باعت بيتها .. ولا ادري لماذا خطر لي ان طفليها اصبحا من الشبان الذين يدمرون البيوت ، ويحرقون ويسلبون ، ويقتلون الاطفال .

غادرت البيت ، بعد ان تململت الشمس خلف التل الصغير الذي يشرف على بيتنا . لم أتطلع خلفي ، ولكنني سمعت بكاء أمي ودعاءها المكبوتين يلاحقانني مع همسات أبي .. سمعت قلوب اخوتي تدق .. ارتميت داخل السيارة ، وعيناي ترقبان شجرة المشمش التي لم تنضج ثمارها بعد . وسمعت صوت اخي الصغير يشق هدوء الصباح في الشارع الندي :

– لا تنس البندقية الطويلة .

حمص — جهاد الكاتب

الفقيد توفيق الفكيكي

علم الشاعر محمد عبد الغني حسن بوفاة صديقه الاديب الباحث العراقي الكبير المحامي الاستاذ توفيق الفكيكي ، وذلك عن طريق النشرة البغدادية التي اذاعتها لجنة الاحتفال بتأبينه ، فرثاه بالقصيدة التالية :

قم نوف الكرام بعض الحقوق ... نحن فوق التقصير ، فوق العقوق
حسبنا دمعة تعبر عما ... في الحشا من تلهب وحريق
انا أبكي على البعيد فما با ... ل بكائي على القريب الصديق
شهد الله ! لم يطعني اصطبار ... خانني الصبر في أخي « توفيق »

يا صديقي على انشعاب المناحي ... وحبيبي على اختلاف الطريق
شرعة الحب ألفت هدفينا ... فالتقينا مع احتمال الفروق
كنت ألقاك في بيانك سمحا ... دائم البحث ، دائب التحقيق
كاشفا عن جمال يوم مجيد ... باحثا عن جلال ماض عريق
فاحصا ، غائصا وراء المعاني ... دائبا في التنقير والتدقيق
تهب النور كل نور لعينيك ... وتعطي الغروب معنى الشروق
لم تضق لحظة بدرس عويص ... او تضق ساعة ببحث عميق
ناسكا ، عاكفا على معبد العلـ ... ـم وفي روضة التفسير الانيق
لك في كل صفحة من كتاب ... وقفات كأنها « بالعقيق » (١)

يا صديقي ! وكم صداقة فكر ... فوق حد التصوير والتصديق
كنت في نقدكم عنيفا .. ولكن (٢) ... كنت في حبكم أرق رقيق
ما التقينا لقاء عين .. ولكن ... التقينا لقاء فكر وثيق
كم وداد بالروح صح فاضحى ... خاليا من شوائب التلفيق
وسع الحب كل شيء ، ويكفي ... انه ثورة على التضييق

لك في منتدى « سكينة » (٣) باع ... طيب الدن ، خالص الراووق
كنت فيه محاميا عن فروض ... قائمات ، وذائدا عن حقوق
وعلى «النخل» (٤) باسقات لقينا ... ك فعرفتنا جمال البسوق
ادب في القديم يدلي بعرق ... وله في الحديث بعض العروق
ادب النخلة التي قد أدلت ... فوق قاماتها بقد رشيق
قد جمعت الجديد من أدب النخـل ، وأوغلت في القديم العتيق

ان منعاك هزني ... فكأني ... من فجاءاته غصصت بريقي
جاءني والهموم تجدب روضي ... والزمان الوريق غير وريق
كيف نرتاع من طروق المنايا ... وهي بالحي دائمات الطروق
قد ألفنا صوت النعي .. ولكن ... حسبها ألفة لغير مطيق

---

(١) العقيق : اسم لبعض الاودية الجميلة في اليمامة والمدينة وغيرها . وقد جاء كثيرا في الشعر العربي (٢) انتقد الشاعر بعض مؤلفات المرثي ، ولكن ذلك لم يؤثر في صداقة الفكر بينهما (٣) للمرثي كتاب جيد عن السيدة سكينة بنت الحسين صاحبة الندوة المشهورة ، والكتاب دفاع صادق عنها (٤) للمرثي كتاب جيد عنوانه « أدب النخيل » جمع فيه ما قيل عن النخلة قديما وحديثا .

القاهرة — محمد عبدالغني حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معارك السكاكيني الادبية

بمناسبة مرور ١٥ عاما على وفاته

بلقم حمودة زلوم

* * *

ذكرنا في صفحات سابقة ، ان خليل السكاكيني ، أحد رواد المدرسة التجديدية الحديثة ، تلك المدرسة التي ثارت على القديم وزعمائه ، فلم يقتصر السكاكيني على الدعوة الى نبذ القديم ، والمناداة بالجديد ، بل تصدى لزعماء المدرسة التقليدية ، تماما كما تصدى طه حسين لمصطفى صادق الرافعي ، في نفس المجال والهدف ، فالسكاكيني وطه حسين - كما يقول الدكتور سامي الدهان - يريدان لكلامهما غير هذا الاسلوب القديم ، لانهما يكتبان في النقد وتاريخ الادب ، فالاسلوب الذي يسلكانه ، هو اسلوب العقل والمنطق والحجة ، يدخله التاريخ وعلم النفس ، وتختلف اليه احكام النظر والروية والمناقشة ، فلا يصلح بحال ، ان يكون في نثر فني ، له سجع القافية ، والتزين والتذويق والزخرفة .

فالسكاكيني الثائر على كل ما هو قديم ، الثائر على كل ما يغاير العصر والذوق ، يكتب بحثا مستفيضا ، في جريدة « السياسة الاسبوعية » يتعرض فيه لنفر من الكتاب الذين وصفهم بقوله « ... بأنهم اولعوا الى يومنا هذا بتكرار الكلام في غير مواطن التكرار ، والاسراف في استعمال المترادفات على غير حاجة اليها ، ولا فائدة منها » ويعلل السكاكيني ذلك ، اما لقلة البضاعة ونزارة المادية الفكرية ، واما ان يكون متابعة لما ورد في بعض اقوال العرب ، من الترادف او تقليدا ، ويقول السكاكيني بعد ذلك « ... ومهما يكن السبب فان هذا النوع من الكتابة غير طبيعي ، او غير عربي ، وعلى الاقل لا يستمرئه ذوق هذا العصر » ثم ينتقل السكاكيني ليطوف في كلام العرب ، واشعارهم ، وخطبهم ، وامثالهم ، ويخرج ، بأنهم يميلون فيها الى الايجاز وكره التطويل ، بل ان عندهم نوعا من الحذف يقال له (الاكتفاء) فبدلا من ان يقولوا « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » قالوا « لا حول ولا » ومنهم من يختصر هذا فيقول « لا ولا » ثم يقول « .. فما قولك في عصر ، كادت تتغلب فيه لغة التلغرافات » ثم يسوق السكاكيني في مقاله ، نصا ، سبقه باستئذان القارىء « وهنا استأذن القارىء الكريم ، بتقديم مثل على ذلك ، من رسالة امامي لكاتب كبير قال : يا أخواننا في الصارخة القومية ، والنعرة الجنسية ، وقد بدات الاقوام ، ونشات الامم منذ الكيان ، ومنذ وجد الاجتماع البشري ، وتساكن الانسان مع اخيه الانسان . وقال : ومهما انتبذ له مكانا منزويا وتنحى جانبا منعزلا الخ .. »

وتخرج المقالة هذه فيقراها القرء ، ومنهم امير البيان ، شكيب ارسلان ، الذي عد مقالة السكاكيني ، خنجرا داميا يطعن في ادبه وفي شخصه ، فراح يكيل لخصمه الصلب ، مقالة قاسية عنيفة ، يتعرض فيها للسكاكيني ، ومما جاء فيها « ... فظاهر ان هذا الكاتب الاديب يقصدني في تعريضه ، لاستشهاده ببعض جمل من نداء ... » ومقالة امير البيان نهبت من صفحة الادب في « السياسة الاسبوعية » اربعة عشر عمودا ، مليئة بالاستشهادات بأقوال العرب ، وخطب الرسول عليه السلام ، وخطب قادة الفتح المشاهير ، ثم يتعرض لراي السكاكيني القائل (لاقتصاد الاقتصاد !) فيقول الامير « فليعلم - السكاكيني - أن من يهمل استدعاء الطبيب وشراء العلاج ، حبا في التوفير ، تطول علته ، ويتعطل عمله ، ويخسر اضعاف ما وفر » ويضيف امير البيان قائلا « وارجو الاستاذ المنتقد الا يؤاخذني على الاطناب ، لانه ضروري ، لايجاد صورة تامة في الذهن ، ولاقناع من كان مكتفيا برايه ، وان يتغمد قلة بضاعتي ، ونزارة مادتي الفكرية بوفرة بضاعته وغزارة مادته وفوق كل ذي علم عليم » .

ويرد السكاكيني على ضربات الامير ، بنفس النمط ، وبنفس الطريقة الواضحة فيقول « .. نعم ان الامير لم يغضب لان انتقادي المذهب القديم جاء مباينا لوجه الصواب ، وانما غضب لانني استشهدت بأقواله » ثم يؤكد السكاكيني أن الامير من اصحاب المذهب القديم حتى في رده عليه ، ويأتي بالامثلة على ذلك من كلام الامير « فللاندلس منزع ، ولليمن مذهب ، ولمصر لهجة ، وللشام اسلوب ، وللعراق نمط » ثم يعلق السكاكيني قائلا « فالمنزع والمذهب واللهجة والاسلوب مترادفات ، ولو بقيت لديه بقية من المترادفات ولو من الالفاظ الغريبة المهجورة لقال : ولفلسطين كذا وللسودان كذا ولاهل المدر كذا ولاهل الوبر كذا » ثم يتناول السكاكيني رد الامير من زاوية اخرى فيقول « .. اذا كان لكل مقام مقال فما له - اعزه الله - يجعل المقال الواحد لكل مقام ! » ويتابع السكاكيني قائلا « أن تعمد الامير لهذا الاسلوب هو الالفة ، واتخاذه اياه مذهبا في كل ما يكتب ، وليس هذا اسلوب الامير ، ولكنه اسلوب اكل الدهر عليه وشرب » ثم يتابع السكاكيني في تضنيد رد الامير فيقول « ... ولم يكن قصدي الانتقاد من اجل الانتقاد - كما يقول الامير - ولكن لاقرر مذهبا جديدا ، فاذا لم يقبلوه فهم وشأنهم لهم مذهبهم ، ولي مذهبي » .

ويأتي الامير بعد ذلك برد طويل ، اطول من رده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاول ، متناولا مقالة السكاكيني بالتحليل والنقد والتجريح ، واذا كان الامير قد استشهد في رده الاول بأدب العرب واقوالهم وخطبهم فانه اعتمد هذه المرة ، على ما يكتبه المعاصرون ، مثل طه حسين وعلي ادهم ، والسكاكيني دقيق الملاحظة ، يلاحظ ، ويقارن ، ويربط بين مقالتي الامير الاولى والثانية ، فيرد على الامير ردا مبنيا على استنتاجات عدها نصرا له وهي :

اولا : ان الامير اعتمد في رده الاول على قواعد اقتبسها من صبح الاعشى ، وشواهد بعض القدماء على ذمة راويها ، اما في الثاني فقد جعل يستشهد بكتاب العصر ولا شك هذا دليل على انه تجدد .

ثانيا : ان الامير قد قلل من استخدام المترادفات في رده الثاني ، ويضيف السكاكيني قائلا « ولا أخال الامير الا معترفا لي في قلبه انه قد كسبته ــ ولا اقول غلبته ــ وحسبي ذلك فخرا » .

ثالثا : ان الامير كان متأبها شديدا لا يقيم لاحد وزنا ، وقد غضب لان يقوم واحد مثلي فينتقده ، اما اليوم فقد ضاق ذرعا ، وجعل يتظلم ويستجدي القراء ويستنهض هممهم ويشندهم الله ويرجوهم ، ثم يسوق السكاكيني الدليل تلو الدليل من اقوال الامير مثل « والله لقد اعيتني الحيلة ، ماذا اصنع لاقنع مناظري بالعدول عن هذا المراء » « ... وأنا مع عجزي واعترافي بانني لا اصلح ان اكون من تلاميذهم ــ الزمخشري والقلقشندي ، والجاحظ وغيرهم من ادباء العربية القدامى ــ » وقال « نشدت الله كل قارىء منصف » وقال « استنجد القراء الكرام واستنهض هممهم » . ثم يتناول السكاكيني قسما من رد الامير ليوقع به ويحرجه فيقول « قال الامير : والله ما غضبت لنفسي مثلما غضبت لاساطين اللغة وسلاطين البلاغة ، ان يقوم اليوم واحد مثلي او اعجز مني فيقول « ان بلاغتهم صارت قديمة بالية » . فيعلق السكاكيني على ذلك « لا شك انه يعنيني بقوله (اعجز مني) انه لاعجز كاتب ايها الامير اما وقد تشرفت ان اكون مناظرك ، واذا نسبت الي العجز في معرض الدفاع عن نفسك لا عن اساطين اللغة وسلاطين البلاغة ، فتلك كلمة انت ادرى بما يفهم منها في هذا المقام » ؟

وهكذا تستمر المناظرة ، وتشتد تدريجيا ، فيكون رد الامير الجديد على عادته طويلا ، داعما اقواله بالشواهد ، وفي هذه المرة ، بشواهد للاقدمين والمحدثين ، مثل : الزمخشري ، وابن الاثير ، وطه حسين ، وبقسم من رد السكاكيني ، وبين الامير ان الزمخشري وطه حسين وحتى السكاكيني نفسه يكثرون من المترادفات والتكرار فيسمي السكاكيني « المعترض على نفسه » ثم يزداد رد الامير عنفا وشدة ، فيقول عن ابن الاثير في معرض تعريضه بالسكاكيني « انه ــ ابن الاثير ــ ليس ممن يعد في طبقة الزمخشري ولكنه من علماء العربية ، وبكل الاحوال اعلى طبقة من السكاكيني ، ولو راى نفسه ــ السكاكيني ــ غير ما يراه غيره » فيكون تعليق السكاكيني على قول الامير « ترى انه لايزال متألما غاضبا » ويضرب السكاكيني مثلا رائعا واضعا القول الفيصل على ادعاء الامير في أن الزمخشري يحب التكرار ، وابن الاثير كذلك وطه حسين مثلهما ، فيقول « ومن العجب ان تقول للمريض انت مريض فيقول لك : وانت مريض وكل الناس مرضى ، كأن مرض غيره يعزيه ، او ينفي عنه المرض » ويتابع السكاكيني مما يدلنا على طول باع ، وتحمس للمذهب الذي يدعو له فيقول « وانه لا يجوز للامير والزمخشري ، ولا لابن الاثير ولا الجاحظ وابن المقفع والحريري ، ان يكثروا من المترادفات في غير مواطن تكرار الكلام بلفظة او بمرادفة » ويقول ايضا « وغلطي غلط غيري لا يشفع في غلط احد » ثم يقارن السكاكيني بين القديم المتكلف والجديد الطبيعي ، فنراه يأتي بالتعليل البين الواضح ، محيطا بالموضوع ، احاطة فاهم واع يقول « كان الناس يميلون الى التكلف في كل شيء ، فصاروا طبيعيين في كل شيء ، كان القراء قبل اليوم يجودون تجويدا ، او يستعملون لغة الوعظ يقلدون خطباء المساجد ، او رؤساء الكنائس الاجانب ، او يلزمون نغمة واحدة . سواء كان الموقف ، موقف حب ، ام حماسة ام بكاء ، اما اليوم ، فان لكل موقف نغمة مناسبة ، كان الرقص تفككا ، فكل حركة فيه كانت رقصا ، واما اليوم ، فان الرقص لغة اخرى ، يمثل معاني النفس تمثيلا ، فقد يكون في الرقص خشوع ، وقد يكون فيه حماسة ، وقد يكون فيه حب ، وقد يكون فيه بكاء ، وقد يكون فيه وعظ » ويضيف السكاكيني قائلا « ان الاسلوب الطبيعي للكتابة ، ان يكتب الانسان ، كما يفكر وكما يتحدث ومن عدل عن ذلك فقد تكلف » ويشيد السكاكيني باسلوب طه حسين ومنصور فهمي والشيخ مصطفى عبد الرازق وسلامه موسى فيقول عنهم « فاذا قراهم فكأنه سمعهم يتحدثون »

ثم يتعرض بعد ذلك الى اصحاب المذهب القديم ، فيقول « انهم نزعوا الى الارستقراطية في هذا الزمان ، الذي انتشرت فيه الديموقراطية ، فلا تفهمه العامة ولا الخاصة » ويسوق السكاكيني اثر ذلك قصة طريفة وهي انه « وقف خطيب في حفلة ، اقيمت لتكريم شاعر كبير ، وكان جالسا الى جواره ، وقال له : اظن انه لم يفهم كلامي الا انت وانا . فقال الشاعر : ولا انا يا سيدي » . ثم يقول السكاكيني عن اصحاب المذهب القديم « وتراهم اذا كتبوا اضطروا الى تفسير الفاظهم في ذيل كل صفحة ، وقد يكون التفسير اطول من المتن واغمض » ، فالسكاكيني يريد من الكتاب ان يكتبوا بلغة العصر ولهم الاجر وقد تحدث بوضوح عن الاسلوب الطبيعي للكتابة فقال « الاسلوب الطبيعي للكتابة ، ان يكتب الانسان ، كما يفكر ويتحدث ، فمن حاول ان يكتب ما لا يفكر فيه او يتحدث

عيل اصطباري

بلوت الورى ، حتى نفرت من الورى ... وعشت حياتي منهم متذمرا
أصافيهم ، والود في القلب والنهى ... يظل على رغم العواصف مثمرا
وأغضي على نكث العهود لعلهم ... يبكتهم ثغر الضمير محذرا
وأصبر في الجلى على نكباتهم ... ولو جاءني قلبي من الناس منذرا
وابدي ـ وقدشنوا الهجاء ـ تصامما ... كأني لم اسمع من الهجو منكرا
ويغريهم بي أنني ، متواضعا ، ... نزلت اليهم في السفوح من الذرى
فيطعمهم حلمي ، فيزداد كيدهم ... ولؤم به اشتطوا أذى وتجبرا
فعيل اصطباري بعد ان ضاق صدره ... بمكرهم ذرعا ، فثار وزمجرا
وأطبقت مثل الرعب من كل جانب ... عليهم ، فجن اللب منهم وادبرا
وباتوا شتاتا لا يهدىء بالهم ... أمان ، ولا يدرون ما سنة الكرى
وينمو الاسى والحقد طي نفوسهم ... فيبلون شرا ، مشرع الناب ، أكدرا
فاشفق قلبي غافرا سيئاتهم ... وقد كنت ارجو ان يلين ويغفرا
فما عبد الحقد المؤجج دربه ... الى خافقي يوما ، ولا باع او شرى
فليس نعيم النفس في غير عفوها ... يبيت به روض الاماني مزهرا
وهيهات ان تلقى سوى الحب خالصا ... يحلك طول العمر أفئدة الورى

صيدا — محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه ، وما لا يتلاءم مع الحياة في شيء فقد تكلف » .

ونرجو ان نكون قد وفقنا في عرض ما دار بين الاديبين من مساجلات على صفحات «السياسة الاسبوعية» بدقة ووضوح .

وقد تعرض كثير من النقاد والادباء لتقييم آراء المدرستين ، فالدكتور سامي الدهان يقول « لقد غالت كل منهما كل المغالاة ، في رأيها على عادة الجدل عندنا فأنكرت كل ما للاخرى من حجج وسعت الى الانتصار والظفر » اما الاديب العراقي بهجة الاثري فله رأي اخر في خليل السكاكيني ومساجلاته مع الامير شكيب ارسلان. فيقول في معرض تحدثه عن السكاكيني « ورأيته في مراجعاته للعلامة شكيب ارسلان ، في تطور اللغة العربية ، في الفاظها واساليبها ، ومنازع المذهبين القديم والجديد في الكتابة ، ناقدا يتمتع باصالة الرأي ، ويدعو الى الرجوع بالكتابة العربية الى الاساليب الطبيعية والى الاقتصاد في الجمل المترادفة في غير حاجة اليها ، وهو مذهب نتج من ارتقاء الفكر الحديث ، ظهرت طلائعه مع نشوء النهضة ، وما برح يغزو اقلام الكاتبين الذين عظمت حظوظهم من الثقافات العالية » ويضيف الاديب الاثري فيصف رد السكاكيني بأنه « غلب على اوائله الهدوء والسكينة ، في طلب وجه الحق « المسألة ، ثم طفق يعنف رويدا رويدا ، حتى خرج بالبعد عن الموضوع العام ، من الكليات الى الجزئيات ، واستخدام الاسلوب التهكمي في تجريح آراء معارضة » .

اما الدكتور اسحق موسى الحسيني ، فقد كان رأيه، ان قصد السكاكيني من ذلك هو ان يرد الى الكلمة كامل قيمتها بعد ان ابتذلت ، حتى اصابها ما يصيب النقد من تدن في القيمة ، ودعا الى تعرية الاسلوب من الحلية اللفظية التي أدت الى حيفه واسفافه .

ثبت المراجع :
١ ـ مطالعات في اللغة والاديب : خليل السكاكيني .
٢ ـ في ذكرى السكاكيني : اسحق موسى الحسيني ، بهجة الاثري .
٣ ـ شكيب ارسلان (حياته واثاره) : الدكتور سامي الدهان .
٤ ـ اتجاهات ادبية حديثة : الدكتور ناصر الدين الاسد .

الزرقاء ـ الاردن — حمودة زلوم

يوميات حراث... في حقول الحزن

« السقوط » .. خلف شهور البعد ..

بقلم لؤي فؤاد لاسعد

* * *

يفصلني عن الغد هذا الجسر من الساعات ، لو كان لهذا اليوم خطوات أسرع الى اليوم الاتي ، للبست الزمن رداء ومضة خاطفة ودخلت منذ اللحظة مساء الغد اليك ، شاعرا ، وفارسا ، وعاشقا . ولأن حنيني يحرق هذه الشجرة الشعرية التي هي انا وينشر دخانها بخورا هنديا يتنسمه المبعدون عن أحبابهم ، ينسحر الهجر الى عودة ، والكره الى حب ، اصير خط استواء عالم الاشواق وأزهر بالقصائد الملونـة .

هذا الفاصل من الزمن بين اليوم والغد يقف حائلا لسماع صوتك ، وينشر جزائر ثوانيه محطات انتظـار على قارعة التعذيب . لو كان لي خطوات أسرع تخطف الزمن ، لادخلت هذه اللحظة الى مساء الغد .. اليك . (نيسان بيروت ١٩٦٩) .

★

فجأة امتلكني شعور موجع بالتعاسة أشعرني انني أخوض بنهر مخيف من الشقاء ، وان مياهه عما قليل ستبتلعني . هذه المشاعر الغريبة ، كانت تتناقض مع فرحي وانا اطلب حلب لالتقي بك على الرقم الذي أردتك أن تنتظري فيه مكالمتي .. حتى هذا اليوم وكان قبلهـا بضعة أيام لم أسمع صوتك فيها ، والمسافة بين بيروت وحلب أميال من الحزن لا تنتهي بدونك .

واصلت السفر مرغما بشعور التعاسة ، حاولت الهرب من داخلي ، لكن مرساة مثقلة بالهنيهات الصعبة شدتني الى القاع ، اشبه بمصلوب في فراغ البعد ، هذا الشاعر الذي تعرفينه يتشرد بحزنه في شوارع المدينـة في الشمال .

وحين اتى الليل بخطاه الخفية اختلطت الظلمة بالبحر فلم أسمع وانا في أقصى بيروت على سفوح الجبال الا بصخب الامواج يعلو ويلتطم بصخور القلق .. داخلي . لو كان لي ان استبدل بكل أجنحة الشعر الفريدة التي لدي بجناح طائر يطوي الابعاد تحت ريش جناحيه ، لكنت ذلك النورس الذي هجر البحر ليحط على نافذة غرفتك العالية المطلة على محطة القطارات والسفر ، آه هذه التعاسة ترافقني على امتداد حدود هذا اليوم وتحتمي بالعتمة وهي تسكن دخيلة الشاعر شاهرة عذابها في وجه الحب . من أين لي صوتك الان .. من أين لي تلك الامطار الخضراء في هذا الليل ، وحدي أنهمر في هذا المكان على الاوراق الزرقاء بالحزن . (نيسان بيروت ١٩٦٩)

★

اعود الى الماضي الجديد ، أتذكرك ببعض التصرفات التي تملأ نفسي بشاعريتك . الماضي القديم .. لا ، لم يعد لي خطوة في أرضه الوعرة الان . فدعينا نمشي في ربيع حاضرنا وندخل معا الى المستقبل بالحب . ان الوجه الرائع لحاضرنا هو هذا الحب الذي ننتمي اليه في تشردنا منذ عامين ونصف ، حيث نعلم او .. لا . انه يجذبنـا لبعضنا ذلك الرباط الخفي ، وقد تداعينا بعد سفر طويل وسقطنا في بعضنا طائرين على شجرة وحيدة في المساء .

فمن كان يستطيع ان يحجب الشمس بأصابعه عن أرض حبنا . ان نبرات صوتك لي ونحن في المكان الذي اخترناه .. أكدت لي ان ما يبحث عنه الواحد منا في الاخر .. هو مكانه في الحب . ومرة واحدة مفاجئة وجدنا نفسينا محاطين بروعة الاشياء في جنة اشواقنا ، فمن اقتنع برفض حب الاخر له وقد حاول البعض كثيرا ان أضعف خارج عاطفتي وان افتح الباب امام عواصف التفكير بك ، لانزعك من نفسي واعيد النظر في حبي لك ، لكي تكوني بعيدة عني . وكانت أحاسيسي تدفعني للتشبث بك . وكنت أرفض حتى رفضك ... بأن تكف عن ملاحقة بعضنا ايمانا مني ان الحب العظيم لا بد ان يفوز بأشيائه العظيمة .

ففي صباح لقائنا يوم سفري الى بيروت « في الحديقة .. عند الباب » . حين ارتمى نظري عليك وانت تسرعين الخطى نحوي وقد غطت وجهك الطفولي إبتسامة تفتحت لاجلها زهور العالم في الحقول وامتدت الى قلبي . حاولت ان اخفف عني روعة سحرك الصباحي ذلك الوقت ، فتمشيت قليلا الى الامام ولكني عندما رفعت وجهي نحوك عندما اصبحت على مقربة خطوات مني ، كانت ما زالت تلك الابتسامة المتفتحة تمنح الزهور في اطراف الروح ، روعتها .

ولم أخف ولهي بالشيء الذي ما زال يسافر في حبك ، ومضينا في طرقات الحديقة يطير بنا الصباح امام عيون الناس ، فلماذا الخوف يا حبيبتي طالما الحب معنا . وتكلمنا في الاشياء التي تهمنا ، وعندما اقتربنا من المكان الذي سنفترق منه رفعت يدي مشيرا الى اللقاء ، وانت فعلت ذلك . ولم اتمكن من السفر ذلك الصباح ، لكن وجهك اطل علي مرة اخرى تلك الظهيرة من اليوم ، فأحببتك على مهلي وانا أراك ثم سافرت .

كنت معي حتى هذه اللحظة وانت بعيدة ، ففي الليل حين تتهادى الاشياء مع بعضها ، تأخذين مكانك في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفسي ، اضمك اليها وننام معا . غدا عندما تحبسنا جدران الصمت ونحن لوحدنا في بيتنا الصغير سنكون اكثر اتحادا من الماء في بعضه البعض حيث وجهك يذهب بعيدا عن الخجل ، وصوتك تتكسر غمغماته بين شفتيك الحلوتين لحنا من « ناي » الحنين وانت بين يدي تطيرين .. تطيرين ، وتذهبين بي ابعد من الحلم .

هذه الافكار حققنا منها بصبرنا جانبا كبيرا حتى انغلقت كل النوافذ التي كان يدخل منها الغبار على مستقبل حبنا. فلماذا الخوف يا حبيبتي طالما الحب معنا . (نيسان بيروت ١٩٦٩) .

★

تراودني تساؤلات عما يمكن ان تقوليه عني في نفسك وانا منقطع بلقاءاتي عنك بالبعد القسري .. حين يطويك مد الحنين وانت في غرفتك العالية لوحدك وعلى حافة النوم في الليل . اعلم انني اسكن في خلاياك كما الدم .. وانني لك كالماء والهواء . وكل هذا لا يضعني على مقاعد الغطرسة والكبرياء تائها بالغرور .. على العكس ، ان كبريائي بك هو اني اعرف لماذا احبك ، فالاطفال والشعراء والمحبون ، طيور لا تعرف الغرور يا حبيبتي ، ويهاجرون في عواطفهم كالريح من مكان الى مكان . وان حبهم لاشيائهم يأتي دونما مقابل ولهذا يسرقهم اواخر النهار الى اعشاشهم . وانا هذا الطائر ، عشه الوحيد حبك ، ولانني احلق في عالمك واوغل ، تراودني تساؤلات عما يمكن ان تسبح روحك فيه وانا بعيد عنك ، بعد ان اعتاد واحدنا ان يلتقي بالاخر اكثر من مرة في اليوم ، حيث مدينتنا عاشقة مثلنا ، وحزينة . (نيسان بيروت ١٩٦٩)

★

تصوري كيف تحول الحب في نظرهم حين ارادوا على زعمهم ان يحموك منه .

وانا اسمع كلماتهم عن حمايتك منه دخلت الى نفوسهم ذات المساحات الصغيرة ، لارى كيف يبدو الحب عندهم . كيف تنعكس عيونهم الى دواخلهم لتنقل لنا صورته المشوهة ، وقد اخترعوا الاساليب لحمايتك منه .

الحب هذا الطفل النبيل ، تصوري كيف يريدون ان يصوروه . ويقدموا حمايتهم لك ضده . وانا اسمع الكلمات في اختراع الحماية وتشويهه . رجعت الى نفسي وبدأت اراه كما يعرفه المحبون . كان شاعرا يتجول بين الناس المختارين .. ويطير بهم في الاحلام .

فحينما نظرت اليك ، كان يشع في اعماقك بروحانيته ، ولم يتبدل ما كنت اعرفه منك . حتى امامهم سافر وجهك عنهم في وجهي واستقر ، يستحم تحت شمس نادرة من الحنان ، لا يعرفها الا المحبون . والطيور ، والاطفال وعندما خرجت الى الطريق ، لم يكن القيظ محرقا كما كلامهم ، وخطفتني قدماي الى المكان الذي الهمك الحب .. انني هناك .. واتى صوتك في الهاتف مزيجا من البكاء والفرح ، واحببتك ، احببتك .. احببتك وطرنا مع بعضنا في الحب بعيدا عنهم . (أيار حلب ١٩٦٩) .

★

هذه الشمعة التي اطفأتها قبل قليل ، فتحت عيون الظلام على فرحي بك وانا استلقي على سريري ، وخلف ظهري الحزن . الحزن الذي كان محصنا بالذكريات .

اعوام كئيبة على يميني اعوام قاحلة على شمالي ، ومن حولي كانت احداق البكاء مفتوحة على عالم الشاعر تسقيه الشقاء .

حتى عندما أطل وجهك ظهيرة يوم لم تكن شمسه الشتائية بين طبقات الغيوم الا بداية يوم يطلع نهاره الدافيء صحوا اخر . كان الزمن يفرزني فيه كمحور عقربي الساعة .. دورة طويلة من شهور العامين والنصف كانت الثواني على مسيرها تطوقنا بحنين كنا نهديه لبعضنا كلما التقينا في الشوارع التي كان يسحرها تشرد الشاعر وهو يمضي محاطا بالحب من بعيد ، حتى وصل كل منا الى اللحظة الحارة التي لم تعد تسمح لنفسها الا بالانفجار لتطوينا نارها في زمنها الذي اوصلنا لبعض بعد تعب ، ففي هذه الايام التي اعلنا فيها الى الجميع الحب . وارتضينا أن نمضي الى الامام دون النظر للخلف . نرفع على الصواري في اعماقنا راية من يعيده الى حنينه الى مكانه شاهرا قدرته في وجه الظروف الصعبة ونحن نجتازها بتصميم من يدوس الاشياء ويمضي دون ان يلتفت الى الوراء .

في هذه الايام احبك قبل سفرك الى الخارج ، وفي الاماكن المعتمة ذات الزوايا المضيئة مصابيحها الصغيرة من اشواقنا ، وفي المطار أحبك قبل ان تقلع بك الطائرة وانت مغمسة بتناقض مختلف بين الحزن والسعادة ، الحزن لتركك لي ، والسعادة للقائك بشقيقتيك هنالك .

وفي ذلك الوقت المليء بمضاعفات العواطف التي تأخذني الى الوحدة والحزن لن اقول سوى كلمة الى اللقاء ، لتعودي لي كما أعرفك غابة حب تتنقل بروعتها وتمضي بالشاعر الى الفرح . حيث ابتسامتك تنهل على أوراقي ، كلمات تحمل نكهة الخرنوب ، والبخور الغالي . (أيار حلب ١٩٦٩) .

★

سكتت زمنا اوصلها صمتها الى اماكن بعيدة لا ادري بماذا رجعت من هنالك ، لكنها قبل ان تتكلم فرشت أرض نفسي بزهور ابتسامتها التي انتشرت فجأة تحت جفنيها ، وشفتها السفلى وفوق جلد يديها الحلوتين وقالت : ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المكان الذي سيكون موعدا لتذكري بك هو الغروب والبحر، وتجمعت في أطراف عينيها البنيتين قبيلة صغيرة من كآبة لم تشعر انها اختطفتها اليهـا .

ولئلا تصيب نفسها بالحزن ، قلت لها : يا حبيبتي تذكري في تلك اللحظات من سفر الشمس خلف أبعاد البحر ، بأن شمسا من الحب تسطع في أعماقنا ابدا ولا تغيب . ويولد منها على امتداد الاماسي في العالم شموسا اخرى للمحبين يفوح ضوؤها بعطر الاشواق .

وحين دخلت بلاد الصمت معها، كانت عيناي تتأملان نورسي يديهـا وهما يقتربان بحنان ليناما بين يـدي . ابتسمنا لبعضنا بعذوبة من يسـافر الى مناطق جميلـة لا يعرفها أحد .. وامتلأنا بالتشرد . (أيار حلب ١٩٦٩)

★

في مثل هذا الوقت قبل أيام .. كنا مع بعض في الزاوية التي اخترت أن نجلس فيها في مقهى (الصن رايز) لنمضي بعض الزمن معا حيث السفر يحملك بعيدا عني . وقد اراد كل منا ذلك البعاد دون ان يصرح للاخر به .

من جانبي .. ان البعد ضرورة للمحبين الذين لـم يقعوا بتجربة البعاد ، لانه اشبه بالمطر الخفي الذي يهطل على الانسان من الداخل ليكشف اعماقه تماما .

لهذا أتذكرك كثيرا حينما امر من المكان الذي كنت في الماضي احلم ان نكون فيه معا ، حتى وجدنا نفسينا هنا .. لا ادري كيف .

وهكذا فان الغرابة فيحياتينا .. هو ان كل ما كنت اتمنى شيئا يأتي حدوثه فيما بعد . حتى سرقت المصادفة كلا منا الى (الصن رايز) لنتقاسم لحظات الحب والحزن على قارعة السفر ، حيث كان وجهك ذلك الزمن ما يشبه بالابتسامة التي تفتح قلب السماء لتحضن عالم البحر . وتكلمنا عن اشياء مستقبلنا .

لذلك لم يشعرني يوم هذا الاحد بالسعادة التي أشعر بها في الايام التي اكون فيها معك ، وكم تمنيت ان تكون فترة وجودك في بيروت اطول لنختار الاماكن التي ننسى فيها الناس ونلقي بافكارهم بعيدا عنا في فم البحر .

في العام المقبل عندما نكون قد أتممنا التزاماتنا حول تهيئة بيتنا ، سأطير بك الى المطارح البعيدة التي كنت احلم ان اسمع فيها اصوات الصمت معك ، ونكون معـا لوحدنـا طائرين حبيسين في غرفة حب مطلة نافذتها على عالم من الثلج ، والجبال ، والصنوبر . سنخترع مكانا لنا بعيدا في الجبال غارقا في رائحة الزهور البريـة ذات الحنين العطري الى الفصول الاخرى ، نأكـل ببسـاطة الاطفال ، ونحب بعضنا كالطيور الشتائية التي تحتمـي ببعضها على الاغصان من البرد ، وننام ومعنا (سيبيليوس، ومندلسون ، وشوبان وبراهمز) واقرأ لك الشعر .

البعض من هذه الاحلام الجميلة تحقق ، والبعض الاخر في طريقنا اليه . والمهم ان نعرف كيف نفهم مـن اليوم وجه المستقبل .

هذه القوة نستطيع تملكها لو تملكنا من كشف معنى تلك الاشياء المتحشرجة حولنا فالمستقبل يا حبيبتي هـو تخطي الماضي والتصرف بحكمة في فتح بـاب الحـاضر الصديء الى الاتي . وقوتي لا تأتيني عندما اكون لوحدي في اختراق العالم . فعندما تعرفين ما معنـى ان تكوني معي . نعرف حينها ان المستقبل عتبة تطأها اقدامنـا وندخل منها الى السعادة . العالم الذي يحلم بـه كـل الناس ، وتعيقهم بالدخول اليه اذرعة الاشجار الوحشية التي تنمو في أعماقهم .

أحبك في النهار يا حبيبتي . وفي الليل ادخل غابة وجهك واستغرق في الحلم . (حزيران بيروت ١٩٦٩)

★

لا استطيع أصدق أنهم استطاعـوا ان يحـاصروك بخديعتهم يا حبيبتي ، وانهم كبلوا قلبك بأشواك اتهامات دنيئة اخترعوها لاسقاط اوراق حب الشاعر من شـجرة عاطفتك ذات الثمر المضيء .

ففي تلك الليلة التي أنارت حروفك الشاحبة قناديل بكائها أحزان روحي ، كنت لوحدي مع أسـلاك البعيـد أستمع الى صوته وهو يأتي من رسالتك الزرقـاء ذات الحروف الصغيرة التي تغير فيها لون حبرك المفضل .. وأمعن من خلالها في وجهك القريب والنائي ، استشف من تلك الكلمات الحزينة المضطربة قصد المجرمين الذيـن ارادوا أن يحبسوك في أقصى المسافات مع اتهاماتهم لـي حتى يقتلعوا شجرة محبتنا الجميلة من جذورها .

رأيتك وانا أعيد بعض المقاطع التي هدمت في روحي جسور الفرح من تدفق ذلك الغدر الذي هجم مرة واحدة مـن بعيـد .

وانا في غمرة عذاباتي الكبيرة كنت ادعو للحزن ان يسامحك وان يزيد لك من الغفران .

حاولت ان انام ، لكنني لا ادري لماذا تركت البيـت حوالي الصباح لاضيع في الشوارع الساكتة على قارعـة الليل والنهار . اجمع عتابي من المفترقات التي كانـت تشهد عذابي الصامت ، وأوصله الى بيتك حيث لا احـد ابدا ذلك الوقت في الطريق الفرعي المطـل علـى بعض شجيرات السرو وسكك الحديد في المحطة . وقد آثرت أن يذهب بعض العتاب اليك وانت في الخارج ، والبعض الاخر يبقى فوق في غرفتك ذات النافذة العالية التي مـا زالت مغلقة منذ شهور ، ليترك آثـار احزانـي فيهـا ويستعجلـك .

ومن يومها وانا تأخذني التعاسة الى التشرد العميق الجذور في الحزن .. لا إنام الا بعد طلوع الشمس ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوقت قصير .

يا حبيبتي .. هل تصدقين ما نسجوه من شباك خديعتهم القاتلة ليوقعوا حبنا في الموت . انني منذ مساء ذلك اليوم وانا اطير نحوك بالعذاب . (أواخر تموز حلب ١٩٦٩) .

★

عاودني البكاء الصامت للمرة الثانية هذا اليوم .. كانت المرة الاولى في الظهيرة حينما سقطت حولي الاشياء فجأة ، فشعرت انني أدخل قسرا دائرة الحزن . وكمن يمسك طفلا من يده ويقوده .. كانت المتاهة تأخذني عبر الشوارع الى اللامكان . البعض يود ان يعرف لماذا يسقط الشاعر احيانا تحت طائلة الحزن ، والبعض الاخر لا يبالي ، بعجبني الاخير .. لماذا يودون ان يعرفوا .. لماذا يحدث هذا .. لم تفرقني هذه الموجة من هذا الصوت الخفيف الذي اسمه الحزن .

عادت تلك الحالة دونما انذار حينما كنت اقرأ «لكافكا» لم يكن لكافكا اي تأثير علي ذلك الوقت الذي يحيط بي .. وكتبت على الجدار هذه العبارة التي فتحت آذانها على صوت ذلك الاسى المداهم (ايتها الريح .. الاتية من هناك احبيني ولا تخافي) وقرات واستمعت الى ما يغرق حولي من تناقضات ، وخرجت الى الشوارع احصي ندمي في عيون الناس المصابين بالحزن . (تموز حلب ١٩٦٩)

★

حين نملك القدرة على مجابهة الاخرين ، والشجاعة التي نقول فيها لانفسنا حينما نخطيء اننا اخطانا . عندئذ نعرف تماما لماذا نحن نعيش . (تموز حلب ١٩٦٩) .

★

وقفت لبرهة معها بعد ان عادت .. وقد أتى البعاد في قلبها الصغير .. على الحب . وقفت استفسر معنى النظرات التي خرجت من عينيها فجأة بعد سفرها شبه الطويل ، ظهيرة البارحة ، وقد أقنعتها أمها والاخرين بأن الشاعر منحرف ..

المسكينة سقطت في التفاهة وصدقت خديعة القتلة الذين نصبوا لعقلها الصغير وحبها هذا الكمين الذي وجدت نفسها فيه دون ان تدري . كلمتها قليلا .. كانت هي داخل « الفخ » وارادت ان تبقى فيه ، ولم أتصور انها ستحمل معنى تلك التفاهة التي وضعت نفسها فيها مساء يوم كان الشاعر ينثر عليها زهور حبه ويشيع في أسلاك الهاتف حرارة حنينه .

قالت ذلك الوقت : بأنها تافهة ، وأن الجميع يقولون عنها ذلك ، ولا ادري كيف اردت ان انقذها ذلك الوقت من هذا الشعور المدمر ، والتي وضعتني امامه صراحة . ولكني قلت لها لا .. لا تقول ذلك . انت رائعة ، وان الغرابة التي تحيط روعتك لا يمكن لاحد ان يدرك سرها الا الشاعر . وكنت لا اعلم بأن محبتي هي التي كانت تصبغها بعالم غرابتها لتسحرها الى فراشة تحمل في الوانها الى الحب فرح الفصول المجهولة بفتنتها . ولا يدركها الا الخاصة .

واليوم عرفت عندما أوصلني الحزن الى أشد حالاته الصعبة الذي تسببت لي فيه . سر تلك السطحية التي احبها الشاعر دون ان يعلم . وتذكرت وانا اسير في الطريق كيف ان لدى البعض القدرة الفائقة على هضم الخطأ وتصديق الخديعة وتجسيدها في دمهم . هذا الحزن .. مرة اخرى يعيدنا الى المنفى . (حلب ١٣ ايلول ١٩٦٩) .

★

صمتت الموسيقى .

سكوت الالحان عن الكلام يذكرني بالاشياء التي تودع نفسها وهي على شفا السقوط .

لو كان للعالم وجه اخر لسافرت اليه ، واستحمت أفكاري بحزن جديد . (أيلول حلب ١٩٦٩) .

★

اود ان ارى ما لا يراه الغير . لهذا اسافر الى داخلي – طريقتي ليست جديدة ولا قديمة ، وليست طريقة .

طريقتي هي أنا ، لانني هكذا .

كل ثواني حياتي مليئة بشيئين ، الحزن والحب .

وسأسافر مرة واحدة .

فما أقسى على المحبين ان يسقط ثورهم خارج الحلبة . (ايلول حلب ١٩٦٩) .

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

صحو

يا قلبي ! .. ما قددت من صوان
فانا ابن امرأة ساذجة ، تقية ، حنون
كافحت في حياتها البائسة بصبر شامخ
لا تكتم تدلهك بعروبتك ووطنك
وكرامة الانسان في هذا الفراغ المخزي
لا تكن جبانا ، رعديدا ..
فقطرة حمراء من دمك النبيل
عنفوان الكفاح ..

حلب — علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر المغمور ميخائيل ديبو المعلوف

* * *

ذكرت هذا الشاعر المعلوفي البارع مع قافلة الشعراء المعالفة الذين بلغ عددهم الثلاثين شاعرا منهم عشرون بالفصحى وعشرة باللغة العامية ودرستهم وانتخبت لهم ارق ما نظموا في كتابي « شعراء المعالفة » الذي نشرته المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٦٣ . وشاعرنا مخائيل ديبو المعلوف هو من مواليد طرابلس (لبنان) سنة ١٨٤٢ وكان شاعرا ، ومحاميا وخطاطا ومصورا ، وعاش اكثر عمره في مدينة الاسكندرية . اما ديوانه فهو موجود في « مكتبة عيسى اسكندر المعلوف وأولاده » بزحلة كتبه الشاعر بخطه الفارسي الجميل : وهو مهدى الى مكتبنا من نجله جرجي في شهر آب سنة ١٩٣١ .

وللمعلوفي هذا عدا عن ديوانه ، عدة روايات هي : العشيقة المجهولة ، شقاء الحب ، غرائب الغرام ، والشيخ الجاهل . وكان يتردد في بيروت على مجالس الشيخ ناصيف اليازجي ويسمعه شعره . أما شعره فكان اكثره غزليا ورثائيا وفي مدح الشخصيات البارزة ، والتواريخ الشعرية كما جرت العادة في ذلك العهد . ومن طريف غزلياته :

أيا لك قلب لم يلن لتلهفي   فان دام هذا أنت والله متلفي
أأنت حديد والحديد يلينه   زفير واني ذبت في النار فاكتف
أم الصخر يا قلب الزمان وطالما   سقى الماء منه كل غصن مهفهف

ثم قال هذا المقطع الرشيق في عيادة محبوبته له :

في ناظري شخصك المحبوب قد وقف   فأوقف الدمع فيه بعدما وكفا
وقيد القلب في قيد الغرام وقد   قاد السهاد لعيني والرقاد نفى
تيمتني في هواك يا معذبتي   فارثي لحالي ورقي وارحمي الدنفا
يا طلعة البدر ما أبقيت لي جلدا   منك سقامي ومنك للسقام شفا
لو زرتني وانا في النزع عايدة   وقيل لي ما الذي تبغيه : قلت كفى

وجاء في ديواني في تاريخ بني المعلوف لوالدي رحمه الله ما يلي : درس ميخائيل ديبو المعلوف في مدرسة الاميركان ببلدته طرابلس (لبنان) على يد استاذه الضرير ابي يوسف دياب ، ثم لازم المعلوف في أسكلة البترون خليل فتوح الشاعر فنشأت فيه رغبة للشعر والخط الفارسي ومال الى الرسم وفن الزجل (المعنى) وتعلم الفرنسية والايطالية في مدرسة الاباء الكرمليين في طرابلس سنة ١٨٥٦ وثم سنة ١٨٥٧ ارسله الى رومية الخوري اناطوليوس شاهيات وبعده الى قبرص لبيع المحار المعروف بعرق اللؤلؤ . وسنة ١٨٥٨ سافر الى الاسكندرية وتعاطى التجارة هناك وتركها عائدا الى الوطن سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٢ ذهب الى مرسين (تركية) وعاد الى أسكلة طرابلس (لبنان) سنة ١٨٦٦ حيث تزوج . ثم عاد الى مرسين سنة ١٨٧٢ فالف روايته الهزلية « الشيخ الجاهل » وانشأ محلا تجاريا ، وعين ترجمانا لقنصلية دولة ايران وسنة ١٨٧٦ سمي وكيلا لقنصلية دولة العجم بفرمان «عال» سنة ١٨٧٨ وسافر الى الاستانة وعاد منها قنصلا على طرطوس وأطنه ومرسين وتعرف بالشاعر العثماني الشهير ضيا باشا فتمكنت بينهما المودة ثم انقلبت الى عداوة على المركز والوظيفة فذهب المعلوف الى الاستانة وقابل السفير وقدم له رسمه وعليه هذا البيت من الشعر :

تفديك روحي ويبقى الرسم تذكرة   فالموت من بعد عزي طاب مورده

فتأثر السفير واقره في منصبه . وفي سنة ١٨٨٠ استقال المعلوف من منصبه وارسل اسرته الى طرابلس وسافر الى الاسكندرية ووافق وجوده هناك قدوم البرنس حسام السلطنة عم شاه ايران للاسكندرية لزيارة ضريح الحسن والحسين بعد زيارته لمكة المكرمة فتشرف بمقابلته فانتدبه لمرافقته مع القناصل الذين ساروا بمعيته الى اليخت الخديوي الخاص المرسل ليقله الى مصر فقال الشاعر المعلوف بذلك سنة ١٨٨٠ :

في البر خيل أراها كالسراحين   والبحر فلك تشق اللج كالنون

ومنها قوله :

من مالكين بأمر الله كم ملأوا   الدنيا سدادا وساروا من ملايين
يا ذخر سلطنة انت الحسام لها   دم وابق واسلم بتعزيز وتمكين

وحتى سنة ١٩٠٨ كان للمعلوف اربع مائة قصيدة وعدة دواوين في المديح والرثاء والتشطير والتخميس والموشحات مما بلغ خمسة الاف بيت من الشعر .

ومما قاله مهنئا نسيبه جدي ابراهيم باشا المعلوف برتبة أمير الامراء وذلك في اواخر سنة ١٩٠٦ :

من حمى زحلة برق قد سرى   فارانا الليل صبحا انورا
حاملا بشرى جليلا قدرها   فاحت الفيحاء منها عنبرا
فاضت النعمى على نعمائكم   من مليك العصر سلطان الورى
خص علياه بأسمى لقب   لم يزد عنه كبار الوزرا
لقب الباشا الذي ما ناله   من بنيه غير محمود السرى
عج ويمم نار ابراهيم باشا   وعرج انها نار القرى
تلق نعمانا وعيشا ناعما   وربيعا كل يوم أخضرا
فابق يا شمس المعالي سالما   لا ترى ما دمت حيا كدرا
ولكم نهدي تواريخ الهنا   بافتخار يا امير الامرا

ومن تشطيره لبيتين من الشعر لاديب اسحق سنة ١٩٠٦ :

« ان انكر الصب الهوى فدموعه »   فيه عدول ما شهدن الزورا
اولم تر بها ومعي اصدق كاتب   « في وجنتيه تخط عنه سطورا »
« لا تستري وجه الغرام ببرقع »   فالحب يأبى ان يرى مستورا
لا تحسبي ثوب الهوا يخفي الهوى   « ان الزجاجة ليس تخفي النورا »

ومن غزلياته المستلطفة سنة ١٨٩٧ :

عداك السقم سلمى لا تميسي   فعيني لم تطق وهج الشموس
ولا ترمي بسهم اللحظ قلبي   كفاه منه فعل الخندريس
ولا تدمي اذ كلمت دمعا   أنوح به على حظي التعيس
ولا تبغي بسيف الصد قتلي   وقاك الله من قتل النفوس
أنا الخل الذي قد كان خلوا   قبيل الحب من شجن وبؤس
أنا الالف الذي آلفت منه   فؤادا قد حكى بيض الطروس
فخطت فوقه عيناك اني   أسرتك بالغرام فكن حبيسي

وقال مقرظا رواية ـ انجاز الميثاق في فدية اسحق ـ من تأليف نسيبه عيسى اسكندر المعلوف أحد اساتذة كفتين سنة ١٨٩٧ :

اعجاز عيسى وما قولي باغراق   لج اذا خفته يقضي باغراقي
ألهى واشهى وابهى من بلاغتها   في كل دور تعالى خير خلاق
من كل معنى بديع قال قائله   الحسن حسني وكل الناس عشاقي
حييت يا نجل معلوف الاديب ومن   أصلا وفصلا زكا من خير اعراق

هذا شاعر لبق من شعراء القرن التاسع عشر ، لطيف العبارة ، سهل اللغة ، متقن السبك ، لم يتكلف النظم بل راح على سجيته يتفنن ويتلاعب بالالفاظ والمعاني . وشعره من طبقة ذلك العهد في المدح والرثاء والغزل مما الفه الناس في شعراء ذلك الزمن .

وأحببت في الكتابة عنه نفض غبار النسيان عنه وعرض قوافيه ليتمتع بقراءتها القاصي والداني وبذلك خدمة للشعراء والقراء .

زحلة ـ لبنان   رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حريق المسجد الاقصى

أين الصريخ ؟ واين النار والفزغ ؟ ... أم أين ذاك العويل المر يرتفع
فيالقدس ؟ في المسجدالاقصى ؟ فواحزني ... عليه وهو بنار الحقد ينصدع
ماذا يريد عدو الله ؟ قد عظمت ... منه الجرائم واستشرى به الجشع
بالامس قد سلب (العذراء) حليتها ... مستهترا ما له من وازع يزع
وداس من حرمات الله أقدسها ... في القدس وهو بطبع الشر مندفع
واليوم تستهدف الاقصى أذيته ... يا غيرة الله تغشاه فلا تدع

البيت بيتك يا ربي فقد عبثت ... به ذئاب على الافساد قد طبعوا
عاثوا فساد بما باركت من بلد ... ما راقهم فيه آحاد ولا جمع
يبغونه بقعة للسبت خالصة ... ليست بحال لغير السبت تتسع
تلك الاماني قد خطوا لها خططا ... فخيب الله ما خطوا وما وضعوا

طارت بفعلهم الانباء ناقلة ... ما أحدث الحقد والكفران والطمع
فاذهل الناس في الافاق صنعهم ... يا هول ما احدثوا يا شر ما صنعوا
أتى الحريق على ما شاده سلف ... غر كرام وأملاك بهم ورع
من آل مروان حيا الله تربتهم ... لله ما شيدوا للحق ما رفعوا
تدمر الجانب الشرقي وأحترقت ... آثار فن عليها قد غدا الجزع
فن تسامى على الابداع متسما ... بطابع الشرق ما حاكاه مبتدع
من زخرف بوشاح الحسن متشح ... ومن نقوش عليها التبر منطبع
ومن عجائب اقواس على عمد ... تهدمت او تغشى حسنها الصدع
والمنبر الفذ قد زالت معالمه ... وقبة النور بالنيران تلتفع
والناس في القدس مذعورون قد هرعوا ... الى الحريق الذي يذكو ويرتفع
مد اليهود خراطيما مزيفة ... لا ماء فيها وقالوا : الماء منقطع
واظهروا اسفا والبشر مرتسم ... على وجوههم واللؤم والخدع
ما يفعل الناس ؟ والاقصى تدمره ... عصابة بثياب المكر تدرع
تناقلوا الماء من آبار ساحته ... ودمعهم فوق ذاك الماء ينهمع
يبكون بيتا لذكر الله شيد وما ... يبكون يوما اذا الابطال تصطرع
كأنهم حوله والنار تأكله ... ام قد انقض يردي طفلها السبع
حتى اتت نجدات ثار ثائرها ... من كل فج وشر النار يتسع
فاطفؤوها وكان الغدر يأمل ان ... تأتي على البيت لا تبقي ولا تدع
يا موقد النار لم تحسب عواقبها ... مهلا ، لديك ، ففي أخدودها تقع
الدين لله من يحرق معابده ... يلق الجزاء وسخطا ليس يندفع

يا من حملتم لهذا الدين رايته ... خفاقة للهدى والخير ترتفع
مسرى رسول الهدى اضحى يقوضه ... أشرار خلق من الافاق قد جمعوا
عصائب اقلقوا الدنيا بفتنتهم ... ومن خبيث الربا والسحت ما شبعوا
فاستأصلوا شرهم فالله ناصركم ... وغمة الكرب عنكم سوف تنقشع

حلب ... محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– ما ادق خصرها وانهد صدرها !

(ليتك تصبحين زوجة لي !)

– ان هذه الجاذبية الناطقة التي جبل بها وجهها لم أجد لها مثيلا في وجوه غيرها من الفتيات .

(لماذا لم تتزوجي حتى الان ؟ انني على استعداد للتزوج بك يا فاتنتي)

– هناك فتيات كثيرات يفقنها حسنا وجمالا ، ولكنها تفوقهن بتلك الطيبة والفتنة المكتوفين في أعضاء وجهها . ان الناظر الى وجهها يشعر براحة نفسية دون ان يدري لذلك سببا . ليس في كلامها ما يسحر ، وليس في مشيتها ما يأسر . ليس هناك سوى الطيبة والفتنة المكتومتين في وجهها . انني اشعر بأنهما مدخرتان في عينيها وانفها وثغرها وتقاطيع وجهها . ان هاتين الميزتين الانسانيتين تدعوان الرجل المعجب بها وتقول له همسا : « تعال الي ! انني على استعداد لان اكون لك زوجة مخلصة تريحك في حياتك الزوجية وتضمن لك ساعات حافلة بالمتعة والهناء والسلام » .

(ولكن هناك ما يحول بين نفسي والتفكير في التزوج بتلك الفتاة الحلوة . حديث الناس . الاشاعات . لعن الله الاشاعات ! ما اكثر كلام الناس وكذبهم !)

ان اخلاص تمر في السوق في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين من صباح كل يوم متجهة الى مكتب الشركة الذي تعمل فيه ، وتعود منه الى منزلها في الساعة الواحدة مساء . ثم تعود الى المكتب ثانية في الساعة الثالثة مساء ، وتخرج منه في الساعة السادسة مساء ، ما عدا يوم الجمعة . انها لا تسير في السوق وحدها بل تسير وراءها عشرات من العيون ، وتستقبلها عشرات منها . ومع ذلك فان العيون الجادة لا وجود لها بين تلك العيون المعجبة . شباب وجمال وثقافة ، ونفور وخوف وبغض .

اخلاص في الخامسة والعشرين من عمرها . اكثر اعضائها مكتنز او ممتلىء : الصدر والشفتان والراس والعينان والدماغ والقلب – الشفتان بمخدة مخملية أنيقة من اللحم الاحمر ، والرأس بكوخ صغير من الشعر الخفيف ، والعينان بفيض ثر من الطيبة والحنان والجاذبية . والدماغ بالثقافة والذكاء ، والقلب بالحب والاخلاص . نشيطة في عملها ، ومرضية في تصرفاتها وسلوكها . جريئة صريحة قوية .

(اخلاص بحزنها في الخمسين من عمرها . انهالت عليها السنة النساء الحاسدات باشاعات سامة ، وطعنتها عيونهن الغيارى بسهام الحقد والغدر والظلم . وماذا تصنع لهن ؟ ان الله خلقها حسناء جذابة . وانهالت عليها السنة الرجال باشاعات قاتلة ،

التفاحة المغبرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

وطعنتها عيون البعض بسهام ساخطة .. وماذا تصنع لهم ؟ ان الله خلقها ساحرة بما وهب لها من آيات الفتنة والاناقة) .

ان جارها غازي يريدها – يريدها حبيبة ثم زوجة . لقد تدله في حبها .. تلك هي الفتاة التي كان يبحث عنها فيما مضى من سني شبابه .

غازي شاب انيق اللباس مهذب الخلق والطباع رقيق القلب هادىء الحديث حلو المعشر ، يحبه اصدقاؤه

قصة

ويثني عليه معارفه ، موفق في عمله معلما في مدرسة ثانوية ، ويحمل شهادة جامعية .

(غازي شاب كثير المسايرة ، يصغي الى اقوال اصدقائه ومعارفه اكثر مما يفكر فيما يسمع ، مندمج في الجماعة فهي تسيطر عليه بعاداتها .. قلبه فياض بالخير والحب ، ولكن عقله مسور بالعادات وان غص بالعلوم التي تعود عليه بالفائدة المادية فقط) .

« – اريد اخلاص يا امي . اخطبيها لي . – أهذه هي الفتاة التي وقع عليها اختيارك ؟ اخلاص فاسدة الخلق لا تصلح لك زوجة . سأبحث لك عن فتاة خير منها . انا ادرى منك بالنساء . – ولكنني احبها يا امي . وانا ادرى منك بالنساء الفاتنات . – أتتزوجها وهناك حياة الحلواني وهي اجمل فتاة في الحي ، وهند الاغواني وهي شبيهة ببرعم من الورد؟ – لا ، لا . ارجوك ! انني لا اميل الى هاتين الفتاتين . لا اشعر بحب نحوهما . ان اخلاص هي التي استأثرت بقلبي . من المحال ان اعيش سعيدا في حياتي الزوجية اذا لم اتزوجها . – أوف ! الى هذه الدرجة انت تحبها ؟ – واكثر من ذلك يا امي . إنك لا تدرين مبلغ سعادتي حينما تقع عليها عيناي . فكيف لو اصبحت خطيبتي ثم زوجتي ؟ – حسن يا بني . سأخطبها لك » .

خطبت اخلاص لغازي . شعر هذا بأن حياته تغيرت بل انه هو نفسه تغير . انشرح صدره وطار في جو من السعادة والهناء فان له خطيبة . وخطيبته هي اخلاص التي يحوم حولها الشبان وتغار منها الحسان . وكان كثيرا ما يقضي في منزلها ليالي ساهرة يمتع نظره بفتنة وجهها ، ويملأ اذنيه بحلاوة صوتها ، ويؤنس نفسه بالجلوس اليها .

وفي ذات ليلة كان القمر مطلا عليهما من السماء وهما جالسان

وحدهما في الشرفة . وقد استمد وجه اخلاص الجذاب بحلاوته جاذبية اخرى من نور القمر الصافي حينما وقع عليه ، وجاذبية ثالثة من نظرات الاعجاب المنبعثة من عيني غازي المدله في حبها . كان الليل ساكنا يستمع ، والهواء لطيفا يغري . وقد طاب الجلوس بحديث مهموس :

– لقد خطبتك بقلبي منذ سنين . الم تشعري بذلك قبل خطبتنا الرسمية ؟

(لقد كنت اشعر انك تشعرين بذلك ، فلا تكذبي شعوري) .

اشرق وجه اخلاص بالابتسام والفخر والغبطة ، واجابت بنغمة زاحفة ارتعشت بشبه ضحكة :

– ان المثل يقول : « قلب المحب دليله » .

فرقصت نظرات غازي ، ثم قال :

– هل تعنين انك شعرت بمثل ما شعرت أنا به ؟

(قولي لي ذلك في صراحة فانني أهوى الصراحة خصوصا من الفتاة التي احبها) .

ففاض وجهها ابتساما دون ان تفوه بكلمة . فقال في رقة وهو يدني وجهه من وجهها :

– قولي يا حبيبتي .

(قولي : « نعم » . كلمة واحدة . هذه الكلمة فقط) .

ولكنها لزمت الصمت ، والقت راسها على صدره قائلة بعد تنهدة :

– حبيبي غازي !

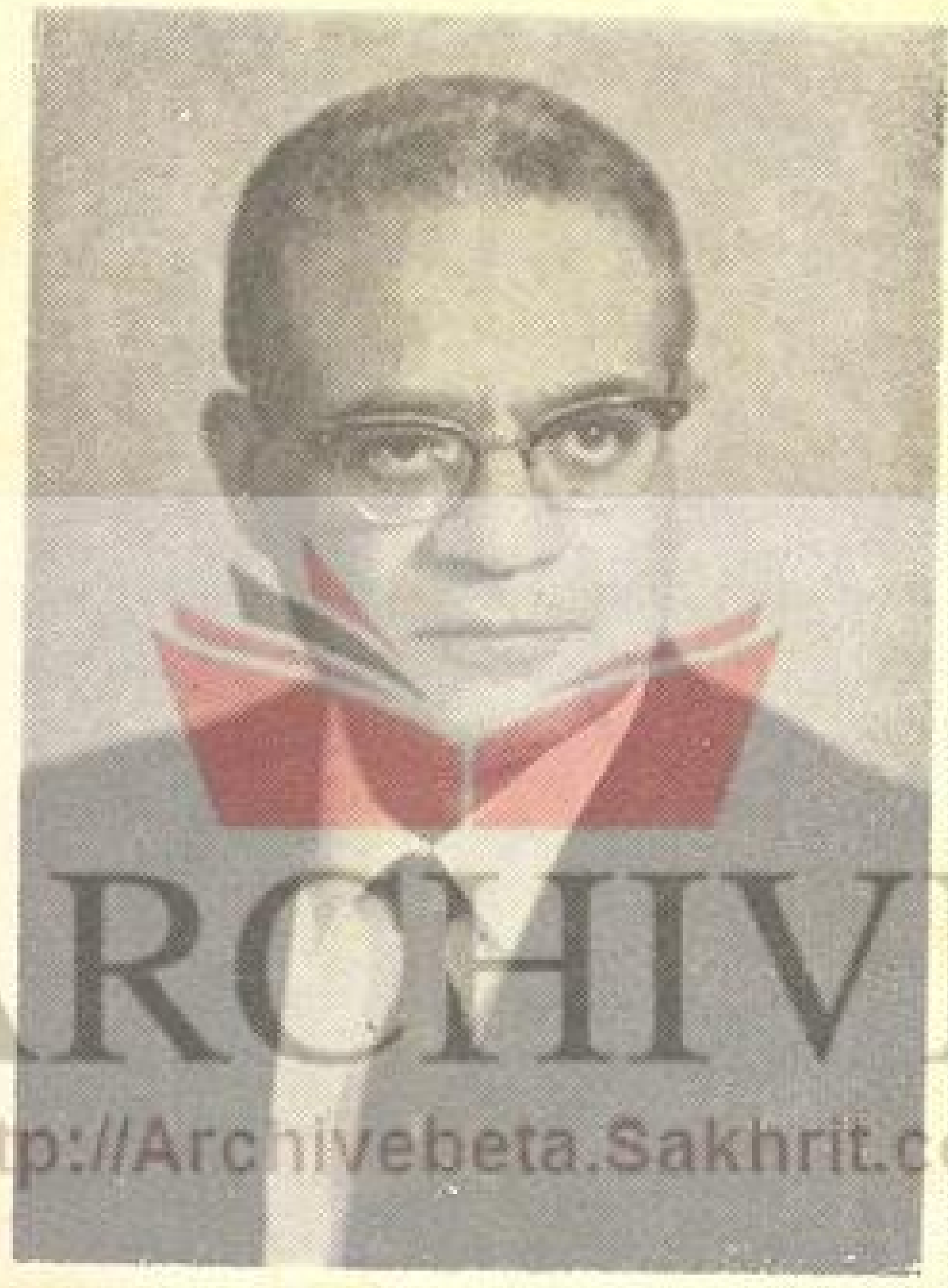
فقبل عينيها اللتين قالتا : «نعم»

☆

كل يقول : « لقد خطبت اخلاص . اخلاص خطبت لغازي » . لم يكن احد يتوقع ذلك . ظن الشبان انها لا بد بائرة وانها باقية عانسا حتى آخر يوم من ايام حياتها . وظنت زميلاتها في مكتب الشركة من كاتبات وضاربات على الالة الكاتبة انها باقية معهن طول حياتها تعمل كاتبة دون ان يتقدم اليها احد من الشبان خاطبا . كل كان يائسا من زواجها . فكيف خطبت ؟ من هو ذلك الشاب المغفل الذي طلب يدها ؟ مبروك ! مبروك ! مبروك ! مغفل ! مغفل ! مغفل ! تلك الكلمات التي رددتها زميلاتها في المكتب ، وصديقاتها ومعارفها في الخارج . وهذه الكلمات رددها الناس في احاديثهم ومجتمعاتهم .

– ماذا دهاك يا غازي ؟ ما هذه العجلة في الخطبة ؟ هل انت لست موجودا في هذا البلد ؟

(اترك تلك الفتاة البغيضة ! اتركها



عبد الحميد الانشاصي

•

انها ساقطة لا تساوي قرشا) .

– ماذا تعني يا محمد ؟

(انك تلمح الى خطيبتي اخلاص)

رفع محمد نظره المنكسر عن الارض ، واجاب زائغ البصر :

– انك تعلم يا غازي انني احبك وانني صديق مخلص لك . لذا أود ان اقدم اليك هذه النصيحة قبل ان تتزوج . اترك خطيبتك في الحال . اقول لك في صراحة انها . . لا تصلح لك .

فشعر غازي بصدمة شديدة ، ثم حدج محمدا بنظرة ساخطة ، وقال بنغمة منتهرة :

– ماذا تقول ؟

(ما كنت اتوقع ان اسمع منك هذا الكلام) .

– لا تحتد يا غازي ، مهلا يا صديقي . اريد ان اطلعك على الحقيقي التي خفيت عليك .

(انك بسيط جدا ، انك ساذج ايها المسكين) .

– ماذا تريد ان تقول ؟

(قل ! اسرع ! انني لا اطيق سماع كلامك) .

– ألا تدري ان شابا جميلا جدا اسمه اديب كان يقيم في دار مجاورة لدارها حينما كانا ساكنين في حي غير الحي الذي تقيم أنت واياها فيه الان ، وانها كانت متدلهة في غرامه كما كان هو ايضا متدلها في حبها ؟ الم تسمع بالحكايات التي سردها الناس مرارا عنهما ؟

فقطب غازي ، وقال بنغمة مهاجمة :

– أصحيح ما تقول ؟

(كدت تسحقني بهذا النبأ) .

– هل تعودت مني الكذب يا غازي ؟ فكر فيما قلته لك .

(اسرع بفسخ الخطبة . اسرع يا صديقي) .

كاد غازي ينفجر هما ، فقد جرح ذلك النبأ قلبه ، وغيض سعادته وهناءه .

(اصوات من الداخل : واذن فقد خدعتني يا اخلاص . لماذا لم تصارحيني بذلك من قبل ؟ لماذا لم تعترفي بالحقيقة التي كانت خافية علي ؟ انني لم اسمع بما كان بينك وبين جارك من علاقة غرامية . بالله ! لقد اصبحت اشك في كل فتاة . ان هذا لم يكن يخطر على بالي ابدا)

(منظر في الداخل : يمضي الى اخلاص ويهب في وجهها صائحا : لا تقتربي مني ! ابعدي عني ! انني لا أطيق رؤيتك ايتها الغادرة . لقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سممت حياتي وقتلت حبي) .

★

اخذ غازي يلوم نفسه لانه ابى العمل بنصيحة امه حينما أنبأته ان اخلاص لا تصلح له زوجة . وصارت امه تذكره بنصيحتها له كلما ثار من خطيبته وذكر علاقتها الغرامية بجارها . وكان من عادته ان ينتظر خطيبته حتى تعود من عملها في مكتب الشركة لكي يجتمع بها ويحادثها . كانت ساعة لقائهما اجمل ساعات نهاره . اما اليوم فانه صار ينفر من اخر النهار ويخشى ان تجتمع به . غير انه أبغض صديقه محمدا اكثر مما ابغضها هي ، فانه شعر ان ذلك الرجل هو الذي حرمه التمتع بثمرات حبه وبالامل الكبير في زواجه بحبيبته . هو الذي حول الحبيبة الى عدوة والخطيبة الى غريبة . ومهما يكن من شيء فقد عز عليه كثيرا ان يخسر تلك الفتاة الفاتنة التي تدله في غرامها وآثرها على جميع الفتيات . غير انه كان يحس من حين الى اخر بثورة عارمة تكتسح قلبه واعصابه وتحوله الى كتلة من السخط والنفور . وحينئذ يتمنى لو انه تخلص من تلك الخطيبة المشؤومة لعل نفسه تستريح من الهواجس والمنغصات .

له ثلاثة ايام وهو منقطع عن اخلاص لا يزورها ولا يتردد اليها كأنه لم يكن له بها صلة من قبل . وقد ساءها ذلك منه . انها لم تتعود هذا الغياب الطويل عنها . ثلاثة أيام . لماذا ؟ ماذا جرى له ؟ واخيرا رات ان تزوره هي اذ خشيت ان يكون مريضا . ولكنها وجدته في صحة جيدة . لم يطرا عليه شيء سوى السهوم في وجهه والزيغان في نظراته والفتور في كلامه وحركاته .

« ما بك ؟ هل انت مريض ؟ كلا ، لا شيء . — احس انك تغيرت علي . هل طرا شيء ؟ قل لي في صراحة . — آه يا اخلاص . ان كلام الناس كثير . — ماذا تعني ؟ — حسبنا هذا . يجب الا نتوغل في الحديث فان ذلك افضل . — هه ! هل سمعت شيئا عني ؟ قل ! — انها اشاعات كاذبة . — ماذا يشيعون عني؟ قل ! — نهم يلمحون الى علاقة غرامية بينك وبين جار لك . — ماذا تقول ؟ علاقة غرامية ! مع من ؟ — لقد نسيت اسمه . . . آه «اديب» . يقولون اسمه « اديب » . — من انباك بذلك ؟ — صديق . — ما اسمه؟ — ما لك وله ؟ — ما اسمه ؟ قل ! —ليس من المستحسن ان اذكر اسمه . — وهل صدقته ؟ — انني لم اصدقه طبعا . — ولماذا لم تزرني كعادتك ؟ هل هذه العلاقة الغرامية هي التي منعتك من المجيء الي ؟ اود ان اعلمك ان ذلك الشاب المسمى « اديبا » كان جارا لي في المحلة التي كنت اقيم فيها منذ ثلاث سنوات ، وانه طلب يدي ، ولكنني رددته خائبا لانني علمت انه يتردد الى المومسات . هل فهمت الان؟ ان كنت لا تصدقني فخير لنا ان نفسخ الخطبة . افاهم انت ؟ — . . . »

★

عاد الحب الى قلب غازي ، وشعر انه ظلم اخلاص حينما انقطع عن زيارتها واتهمها بسوء السمعة . ثم قابل صديقه محمدا ووبخه على التسرع في حكمه على خطيبته ، ولامه على تصديق الاشاعات التي يحوكها الناس حولها ، واقنعه انها بريئة من كل ما توصم به .

ولكن صديقه جاءه بنبأ اخر جديد لم يكن يخطر على باله . اعلمه ان موظفا كبيرا اسمه روحي بك قد توسط لها في تعيينها كاتبة في مكتب الشركة التي تعمل فيها ، وانه كثيرا ما يصادفها في الطريق وهو يقود سيارته ثم يدعوها الى الركوب معه فاتحا لها باب السيارة عن يمينه، فتدخل السيارة وعلى وجهها ابتسامة عميقة ، وان ذلك الرجل يحادثها كثيرا . فلا بد ان يكون على علاقة بخطيبته . وهي لا تجد بدا من ارضائه قضاء لما عليها له من دين معنوي بعد توسطه لها لدى الشركة. ولم يكتف محمد بذلك بل جاء غازيا بنبأ اخر وهو ان مدير الشركة يحبها حبا شديدا ، وانه كثيرا ما يدعوها اليه بحجة محاسبتها على بعض أخطاء موهومة ارتكبتها ، وغرضه من ذلك مغازلتها وتقبيلها .

لم يكد غازي يسمع ذلك من صديقه حتى عاد النفور من خطيبته الى نفسه ، والسخط عليها لسوء سلوكها وفساد اخلاقها . وقد صمم على الانفصال عنها بصورة نهائية ليتخلص من تلك اللطخة القذرة التي لطخت بها جبين شرفه . وقد زارها في منزلها لهذا الغرض .

« انك سيء الظن كثير الشكوك . ان صديقك هذا هو في الواقع عدو لك . كيف صدقته ؟ واذن فانت لا تحبني . لا ، لا ، لا تقل : « انني احبك » . انا لا اصدقك . لا تقترب مني ! اود ان افهمك الحقيقة يا صغير العقل . ان روحي بك الذي توسط لي لدى الشركة هو صديق عزيز على أبي . وهو كثيرا ما يسهر عندنا ونسهر عنده ، فان اسرتنا واسرته على وفاق وود عظيم . اما مدير الشركة فهو من كثرة الاشغال بحيث لا يتفرغ للتفكير في وفي انشاء علاقة غرامية بيني وبينه . ان غرفته تغص دائما بالمراجعين والموظفين . وكيف يجرؤ على مغازلتي وباب غرفته مفتوح دائما ؟ لقد جرحت كرامتي . انني لا احبك ولا ارغب في الاستمرار على ارتباطنا بالخطبة . كنت اظن انك اوسع عقلا مما تبدو لي . كنت اظن انك رجل مثقف بصير بالامور لا تعبث بك اقوال الناس . والان وجدتك العوبة في ايدي أصدقائك وغير اصدقائك من الناس ، مع انك معلم في مدرسة ثانوية . لست ادري كيف عينوك معلما في مدرسة ثانوية . ان المدرسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عتاب

برغم الجفا والغياب الطويل   بلا موعد .. ها هنا نلتقي
عرفتك من همسات الطيور   ومن نفحة الورد والزنبق
عرفتك من لفتة حلوة   الي .. ومن خطوك المشفق
فلا تسرعي الخطو عني ولا   تشيحي بوجهك ، او تحنقي
جرحت بتلك الخطا كبريائي   وازريت بي .. دون ان تنطقي

فيا لك من طفلة قلبها   بنار الهوى بعد ولم يحرق
تصدين عني .. لا لن أكون   ثقيلا على قلبك المغلق
تخافين مني .. ؟ ولي سيرة   بغير الشذى بعد لم تعبق !
حنانيك .. ان كنت ممن يهاب   ويخشى من الحب ، او يتقي
فأني انا نجمة من شموخ   لغير المروءات .. لم تشرق
وان كنت حانقة .. أنني   أباء بدنياك .. لم يخلق

الكويت   مقبل العيسى

الابتدائية كثيرة عليك . لقد اعتزمت ان انفصل عنك انفصالا نهائيا لاستريح من سوء ظنك ورؤية وجهك . هاك خاتم الخطبة . .نني القيه بعيدا عني كما القي جمرة احرقت اصبعي . لا تلتصق بي ولا تدن وجهك من وجهي! انني اكرهك . أفاهم انت ؟ انني اكرهك . ليس في قلبي ذرة من الحب لك . لقد اصبحت غريبا عني . انك لا تستحق ان تتزوجني ولا ان تتزوج فتاة اخرى غيري . انك لا تحبني بل تحب المفسدين من الناس لانك تصغي .لى ما يشيعونه عني من الاقوال التي تمس سمعتي وتحط من قدري . .نني اريد حبا خالصا نظيفا لا تشوبه شائبة من سوء ظن او شك . لا تقبلني ! ابعد فمك عني ! لا ثقة لي بك . اريد شابا حميد الخصال قوي الارادة واسع العقل ، وقد وفقت الى امنيتي بعد الجدال الذي دار بيني وبينك في هذا الشأن من قبل . لقد اهتديت الى الشاب الذي أوثره ، وقضي الامر . اما انت فاذهب الى المدرسة لتتلقى دروسا في معاملة النساء . انك في حاجة الى تربية وتهذيب . وليس التلاميذ في حاجة الى معلم مثلك يعلمهم ويدرسهم . لا تقبل يدي ! اليك عني ! ارحني من همك .. لا ، لا . لا تقبل قدمي يا غازي . حسبك . لقد مزقت قلبي يا عزيزي لا تقبل قدمي . استغفرالله ! لا تفعل ذلك يا حبيبي . انا لك وانت لي . ليس في العالم قوة يمكنها ان تفرق بيننا . الان عاد الخاتم ـ خاتم الخطبة لى اصبعي . لقد اعدته بيدك الحبيبة الى اصبعي » .

« ما ارق قلبك وما اعذب روحك يا اخلاص ! لن استمع الى كلام الناس من الان فصاعدا ، لا الى كلام اصدقاء ولا الى كلام غير اصدقاء . كلهم كذابون . انهم يحوكون الاشاعات من حولك ... ان لك شخصية قوية وخلقا ساميا وعقلا راجحا فضلا عما تمتازين به من الفتنة والجاذبية والجمال . ليقولوا عنك ما يشاءون . انت الفتاة الوحيدة التي احبها . ولكي اغيظهم اكثر مما فعلت لا اجد بدا من الاسراع بزواجنا » .

(اصوات من الداخل : انصرف ! لا اريد ان اسمع كلمة واحدة حول خطيبتي بعد الان . لا احد سمم افكاري نحو اخلاص سواك يا محمد. أهكذا يفعل الصديق بصديقه ؟ تعالي يا اخلاص. لا تفكري في شيء سوى اعداد العدة للسفر الى الخارج لقضاء شهر العسل . سنقضي شهرالعسل في اوروبا ، وسنزور عواصمها الشهيرة ونتمتع بجلسات حلوة في الحدائق والبساتين وعلى ضفاف الانهار) .

(منظر في الداخل : تظهر اخلاص جالسة هي وغازي في ليلة جلوتها ، وقد بدت فاتنة مشرقة الوجه حلوة الهدوء كزنبقة الحقل . ثم يخرج واياها الى الطريق العام حيث تنتظرهما السيارة للذهاب الى منزله . وهناك يعدان العدة للسفر في صباح اليوم التالي الى ايطاليا) .

عمان   **عبد الحميد الانشاصي**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



الصهيونية وحقوق الانسان العربي

تأليف اسعد رزوق ـ ١٩١صفحة ـ منشورات مركز الابحاث الفلسطينية

في نطاق تجلية الحق العربي وموقف الصهيونية منه عرض الدكتور اسعد رزوق عرضا تاريخيا ممنهجا قضية الصهيونية وحقوق الانسان العربي .

يفرق لنا المؤلف بين الصهيونية العملية والصهيونية النظرية فيرى ان الصهيونية العملية تعتمد على سياسة التغلغل الاقتصادي ، فمناحيم بوشكين الذي يعتبر زعيم الصهيونية العملية يعتقد ان الاستيطان التدريجي مع ما يرافقه من تغلغل اقتصادي كفيل بأن يخلق دولة ، ومتى وجد الحق الراهن النابع من حكم الامر الواقع والقائم على المنجزات اليهودية بفلسطين فان الحق التاريخي سيوجد وكذلك الاعتراف الدولي .

وقد بنت الصهيونية العملية سياستها الاقتصادية على دعائم قوية منها :

١ ـ صندوق الائتمان الذي كان بمثابة الاداة العملية الثابتة للمنظمة الصهيونية العالمية اذ كان همه الاوحد تمهيد السبيل امام التغلغل الاقتصادي اليهودي وتقوية العنصر اليهودي ، اما مسألة الحق العربي فلم ينظر اليها مطلقا حتى لكأنه لا يوجد في فلسطين اكثريةعربية

٢ ـ الصندوق القومي اليهودي : وكان الغرض منه تأمين الرأسمال الثابت لابتياع الاراضي العربية واعلانها ملكا للشعب اليهودي بأسره . واذا نظرنا الى الاهداف التي تبناها الصندوق يسترعي انتباهنا المشروعات الخاضعة لاشرافه ، فحين تنتقل اليه ملكية الارض لا يبقى أمام سكان البلاد سوى النزوح .

فالصهيونية العملية اذا تعمل على سد ابواب الرزق في وجه عرب فلسطين وحملهم بشتى الوسائل على مغادرة بلادهم والانتقال الى المناطق المجاورة .

واذا كانت الصهيونية اثناء بدء تفتح القومية العربية قد تظاهرت بمناصرة قضايا التحرر العربي وعملت على خطب ود رجالات العرب الاحرار تحت ستار اقامة حلف : عربي ـ صهيوني ، بوجه الحكم التركي فان غايتها البعيدة لم تكن سوى استمالة العرب واستخدامهم في اغراض الاستعمار ضد الاتراك ، وكانت لها أساليبها الخاصة في استدراج العرب بما تمنيهم به من خيرات ومنافع تعود على كافة العرب من جراء تدفق اليهود واقامتهم بفلسطين .

واذا كانت اسرائيل مغامرةاستعمارية ، باعتراف وزيرخارجية انكلترا الصهيوني « بلفور » فمن الطبيعي ان تكون سياسة انكلترا فيما يتعلق بالعرب سياسة قائمة على اللف والدوران فاذا نادت بمبدأ تقرير المصير استغلته من أجل اليهود فقط اما ما يلحق العرب من أذى بسبب قدوم اليهود الى فلسطين فهو في نظرها أذى متخيل ، ثم ان تحقيق الوطن القومي لليهود عملية مثالية وتبعا لهذا فانها تأنف من الانحدار الى الواقع الارضي ، وترتفع عن النظر الى حقوق عرب فلسطين ! ! .

لقد اعترف صك الانتداب على فلسطين بالحقوق التاريخية لليهود فيها ولكن اليهود لم ينتظروا التصديق عليه للشروع بممارسة النشاطات الاستعمارية .. وبعد ان اطمأنوا الى ان التوقيع عليه سيتم حتما بلغ حماسهم أقصاه ، وفي غمرة هذا الحماس طلع «ماكس نوردو » الصهيوني بمشروع دعا فيه الى الاعتماد على الوسائل الفعالة والعملية لتأمين أكثرية يهودية بفلسطين على جناح السرعة للوقوف بوجه الخطر العربي. وبعد التوقيع على صك الانتداب أصدر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك كتابا ابيض يدعم فيه كيان الوطن القومي اليهودي وينادي بسلوك السبيل الكفيلة بجعل فلسطين العربية وطنا قوميا يهوديا ، غير عابىء بحقوق العرب الا فيما يتعلق بضرورة نزع ملكيتهم للارض لقاء تعويض معقول .

واذا كان المنطق الاستعماري حيال اليهود يعتمد على المداورة فان كيان اسرائيل كله لم يكن اكثر من مداورة ، فمن الاراء التي اعتمد عليها اليهود في تأسيس دولتهم انهم يشكلون اكثرية بالنسبة للشعب الفلسطيني وذلك لاننا اذا جمعنا يهود العالم تبين لنا انهم يعدون «١٦» مليونا . فاذا قابلنا هذا العدد بسكان فلسطين من العرب تبين ان لليهود الحق في انشاء دولة في فلسطين ، ومن الضروري ان تخضع الاقلية العربية لمشيئتهم . اما الذين يرفضون المخططات الصهيونية من عرب فلسطين فانهم فئة من المشاغبين المتأثرين بالدعاية العربية ، فسائر عرب فلسطين لا تهمهم هذه المسألة من الزاوية القومية او الحضارية او الاقتصادية لانهم نالوا في رعاية اسرائيل حقوقهم القومية كاملة غير منقوصة !! .

وخلال الفترة التي امتدت من ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ والتي سماها بن غوريون « فترة الصهيونية المقاتلة » لم تتغير سياسة اليهود مع العرب فقد كانوا يتظاهرون بالرغبة في اقامة علاقات الود والتعاون معهم في الوقت الذي كانوا يتمردون فيه على كل قوانين الانتداب التي تحد من تصرفاتهم في ارض فلسطين لاجئين في سبيل تحقيق غاياتهم الى قوة السلاح والارهاب والعنف بينما كان اليهود يتدفقون بدون تحديد ، كما كانوا طوال الفترة الممتدة بين اقرار عصبة الامم لصك الانتداب واصدار حكومة ماكدونالد كتابها الابيض ١٩٣٩ يحتمون خلف الغموض الذي يكتنف بعض العبارات الرئيسية للصك المذكور ، وفي طليعة هذه العبارات المقصود بعبارة « الوطن القومي للشعب اليهودي » واذا كان اليهود يرغبون باستعادة المجد العربي ويشجعون على ذلك فيجب ان يتم خارج فلسطين .

اما الرفض العربي لاغتصاب حقوق شعب فلسطين فان الزمن كفيل بكسر شوكته .. !

وحين ننظر الى الموقف الفعلي لليهود من قضايا العرب نجدهم يقفون موقفا عدائيا من جامعة الدول العربية يوم ولدت ويحتجون بشدة على الملحق الخاص بعرب فلسطين .

وعلى اثر اعلان انكلترا رغبتها في انهاء انتدابها على فلسطين أرسلت الجمعية العامة لجنة الى فلسطين للتحقيق في قضيتها ، ورفعت اللجنةتقريرا ضمنته مشروعين تقترح في احدهما تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ اقرت الجمعية العامة مشروع التقسيم الذي أعطى ٥٩ر٤٧٪ من ارض فلسطين لليهود و ٤٢ر٨٨٪ للعرب وخصص ٦٥ر٠٪ للقطاع الدولي حول مدينة القدس. واذا لاحظنا ان اليهود قبل قرار التقسيم ، رغم كل المحاولات التي قاموا بها لشراء الاراضي لم يزد ما امتلكوه على ١٠٪ من الاراضيالعربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعرف مقدار التحامل على الحق العربي في قرار التقسيم .

وقد تذرع اليهود بحجة مهاجمة الدول العربية لهم والدفاع عن النفس فاضافوا الى ما منحهم اياه قرار التقسيم قسما كبيرا من الاراضي العربية وفقا لمخطط معين .

وهكذا قامت اسرائيل على الظلم والعدوان والغش والخداع ، واعلن الصهيونيون قيامها قبل سبعة اشهر تقريبا من اعلان الجمعية العامة لحقوق الانسان ، واصر بن غوريون على الامتناع عن ادراج أي تخصيص او تعيين لحدود دولة اسرائيل في نص اعلان الاستقلال وكعادة اسرائيل لجات الى أساليب خاصة لطمس معالم الشعب الفلسطيني والاستهتار بحقوقه وامانيه ، فقد سمت النشاط الارهابي في فلسطين ضد السكان الآمنين حرب تحرير شعبية وادعت امام العالم ان السكان العرب كانوا يهربون من فلسطين هربا جماعيا بدون مبرر ، في الوقت الذي كانت تضطرهم الى مغادرة منازلهم نتيجة المعاملة السيئة ، كما زعمت انها تنوي الحفاظ على حقوق العرب الذين نزحوا عن ديارهم والاحتفاظ بممتلكاتهم دون المساس بها الى حين عودتهم بينما تثبت القوانين التي استصدرتها بغية الاستيلاء على الاراضي كذبها مثل : قانون الغائبين وقانون استملاك الاراضي ، وقانون التصرف ، وقانون تقادم العهد . وهكذا تشرد اسرائيل العرب وتضرب بحقوقهم عرض الحائط ثم تتغنى بالحب اليهودي للعرب واضعة مسؤولية النكبة على الدول العربية التي لم تؤمن للاجئين سبل الاستيطان في هذه البلاد الواسعة ذات الطاقات المهدورة وتصر على الانتقام من اسرائيل المسكينة والتي لا تملك الا رقعة محدودة من الارض !! وربما دفعها حبها للعرب الى التهجم على بريطانيا التي تخدع العرب متخذة منهم وسيلة للربح المادي فقط .

هذه هي نظرة الصهيونية الى كل ما يسمى حقا عربيا ولا شك ان الفكر الصهيوني المعاصر كان يمثل النظرة الصهيونية ويجسد المنطق الاستعماري تجسيدا كاملا .

واذا كان الدكتور اسعد رزوق قد اراد في كتابه ان يبين لنا نظرة الصهيونية الى الحق العربي فهو من جهة ثانية اراد ان يجلو حقيقة اسرائيل مبينا مراحل نشوئها وما رافق هذا النشوء من تلاعب ومؤامرات . ومن خلال العرض التاريخي كنا نرى حقوق العرب تتلاشى بالمغالطة حينا وبالقوة حينا اخر حتى يتاكد لدينا ونحن نطوي الكتاب أن اسرائيل أكذوبة فرضت على الحق ونالت عطف قسم كبير من دول العالم لا لانها فعلا تستحق العطف ولكن لان صوتها كان وحده الصوت المسموع .

وهكذا نقدم شكرنا لمركز الابحاث الفلسطينية الذي يضيف كل يوم مصباحا جديدا يكشف به بعض جوانب القضية الفلسطينية المعقدة؟ واذا كنا نؤمن بعدالة قضيتنا ايمانا صادقا ونعتقد بزيف الصهيونية فان هذا الايمان لا يكفي لانتصار الحق ما لم نحط بكل ملابسات قضية فلسطين على الصعيدين العربي والاجنبي . لقد انتزعت الصهيونية فلسطين من العرب وفق مخططات دقيقة مدروسة لم يكن لها اساس سوى الباطل وكنا نملك الحق والعاطفة فهزمنا . والان نريد ان ننتصر ونصرنا لن يتم الا بأساليب محكمة وان كانت تختلف عن الاساليب الاسرائيلية لان اساسها الحق .

واذا كان الدكتور اسعد رزوق قد كشف قصة فلسطين والصهيونية معتمدا على عدد كبير من المصادر منها العربي ومنها الاجنبي ولم يعرض الاراء كما وجدها في مظانها بل أخذها بالتحليل والمناقشة موضحا المرامي الاستعمارية والاهداف الصهيونية فاننا لن نؤخذ بالحسنات الكثيرة ونتغاضى عن السيئات واهمها الغموض الذي نرجعه الى كثرة النصوص المترجمة ، ثم الالحاح على فكرة واحدة مما يتنافى مع كثافة المادة التي يعرضها المؤلف .

دمشق — سكينة شهابي

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دنيــا على الشــام

ديوان شعر ـ سليم الزركلي ـ ٣٥٢ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين ـ مطابع دار البيان ـ بيروت .

صاحب هذا الديوان الاستاذ سليم الزركلي واحد من شعراء الشـام المرموقين ، الذين يمتازون بالحفاظ على عمود الشعر ، والاسـلوب الرصين ، والديباجة الراقية الحلوة ، والكلمة العذبة المختارة . وهو استاذ جيل من الكتاب والادباء ورجال الفكر والقلم المعاصرين في سورية .

وحصيلة الديوان الذي بين ايدينا خلاصة ازهار نثرها الشاعر القدير على المنابر السورية منذ اربعين سنة ونيفا ، في مناسبات وطنية وقومية شتى . فهو من هذه الناحية قاموس للذكريات ، وسجل للاحداث ، التي مرت بالوطن الشامي خاصة ، والعربي بوجه عام .

ان الشاعر القدير لم يترك مناسبة دون ان يقول فيها قصيدة ، ولا حادثة ذات شان الا وكان شاعرها الصداح وبلبلها الفريد . ففي ذكرى استقلال سورية يوم ٨ اذار من العام ١٩٢٠ له قصيدة من جيد الشعر .. وفي عيد الاضحى والمدينة المنورة وفي فلسطين وسائر الاحداث التي مرت بالوطن العربي كله له قصائد روائع ، تسجل هذه الاحداث ، وتعطي صورة عن انفعال الشاعر بها ، وتاثره باحداثها . ففي ذكرى نكبة فلسطين ـ ولم نكن قد بلغنا يومئذ حد النكسة ! ـ يقول الاستاذ الزركلي في قصيدته التي مطلعها :

اطلي ما حييت وذكريني ... فانك كالحقيقة في يقيني
دمشق وفيك تفتقد الفوالي ... وتفتقد الاهلة في الدجون
قذفت « مواكب التحرير » قدما ... ترد عن الحمى رسل المنون
فولوا عن ديار الوحي خزيا ... مزاحف بالصدور على البطون
وما ينبيك مثل فتى خبير ... سلي (خطين) عنهم واساليني
اجيبيها على (الاردن) نارا ... تلهب كالجنون بلا جنون
وهل تجدي كنايات رقاق ... عن التصريح في الحق القبين

وللديوان « دنيا على الشام » حظ كبير من اسمه ... فاكثر قصائده شامية في لونها ، تفوح منها نسمات بردى ، واريج ازهار الفوطة ، وشموخ قاسيون .. ان الشاعر شامي مفرم بالشام ، محب لها ، متيم بغرامها ، تلمس هذا الحب والهيام في شتى صفحات الديوان ... وكل ما هو شامي اصيل ، له في قلب الشاعر حب عميق ، واثر خالد لا يمحي . هل هناك لون شامي في حياة ابناء الشام، اكثر اصالة وعراقة من الوطني الراحل فخري البارودي ؟ .. لقد كان فخري البارودي اللون الاصيل الاصيل في حياة الشام ، وابناء الشام ، وعادات اهل الشام .. ومن اجل هذا نرى الشاعر الزركلي يرثيه بقصيدته « دموع الورد » التي بلغت ابياتها الثمانين ، فيذكر ايامه ولياليه ، ويمجد وطنيته ، ويتغنى بحماسته واندفاعه لكل عمل وطني نبيل :

يا فخر جلق يا انسان عـالمها ... يا نسرها في مراقي العز والشان
يا وجهها الحلو اشراقا وفيض ندى ... يا فرحة البشر في ابراد نشوان
يا قلبها وقلوب الناس نابضة ... بما تحسس في سر واعلان
يا روحها الثائر الوثاب يوم مضت ... للهول تقرع مرآنا بمرآن
وتدفع الغاصب الغدار في حشد ... تابى المهانة عن دنيا واوطان

ويتغنى بامجاد دمشق ويعدد اريحياتها فيقول :

أدمشق نورك مشرق ... والشعر فيك محلق
والحسن في عرس الريا ... ض مزنر ومطوق
والعبقرية شعلة ... والاريحية رونق
القى الجمال على ربا ... ك وشاحه يتعشق
الفتنة الغراء في ... ك توثب وتانق
تفديك مني مهجة ... حرى وقلب شيق

ويطول بنا الحديث ويتشعب كثيرا ، اذا ما رحنا نمعن النظر ونطيل الوقوف عند كل قصيدة من قصائد الديوان ، وكل مناسبة وطنية وقومية واجتماعية ودينية من مناسباته التي يصعب احصاؤها ... ولا بد للقارىء والاديب الواعي من الوقوف بنفسه على خفايا هذا الديوان ، الذي يحيي ذكريات الشام ويمجد مواقفها الوطنية والقومية، ويتغنى بمائها وترابها وهوائها .

ان الديوان شعر مناسبات حقا ... ولكنها مناسبات يجب ان تظل خالدة في عروقنا ودمائنا واذهاننا . فتحية الى الشاعر الشامي الرقيق ، من قلم يعتز بوطنيته ويفاخر بقوميته ويكبر فيه الروح العالية ويقدر حفاظه على الشعر كشعر اصيل . لا رقيع ولا دخيل .

وتحية مرة اخرى للشاعر الذي دفع ثمن هذا الحب للشام وبلاد الشام من جهده وفكره وماله ... فقوبل هذا الحب لدى فئة من الناس بما لا يستحق من تقدير وتكريم ... بل بكثير من الجحود والنكران .

دمشق — **عبد الغني العطري**

•

الامراض النفسية الشائعة

تأليف الدكتور معمر خالد الشابندر ـ ١٧٢ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

تتعرض النفس البشرية للمرض تعرض الجسم له فتعتل وتهزل مثل اعتلال الجسم وهزاله به ، والمريض نفسيا قد يكون محكوما عليه بالشقاء والتعاسة بخلاف المريض جسديا .. بل ان النفس اذا كانت سليمة وكان الجسد مريضا امكن للجسد ان يبرأ بفعل العافية المتمكنة من النفس والجارية في مجاريها وعروقها ..

وامراض الاجساد قد تكون ظاهرة الاسباب غير خفية العلة ، وقد يكون برؤها مرهونا بايام واسابيع ان تدوركت في اوائل عروضها ووقوعها .. اما امراض النفس فانها شيء اخر غير هين ولا يسير ، وكذلك يقال في امراض الجسد انها معلومة للمريض يحس بها بحكم الفطرة وغريزة التشبث بالحياة ، ولكن امراض النفس على غير هذه الحال فهي رغم سوء مغبتها لا يدركها المريض وان كان يلوذ ـ لا شعوريا ـ بالوسائل التي تصلح احيانا لمعالجة ما يصيبه منها ..

فالمكروب المكتئب يشكو لهذا وذاك اعراضا من الانقباض وضيق الصدر تعرض له لاسباب معلومة وغير معلومة ، وفي الشكوى هذه بعض علاج ولكنه علاج مرتجل لا ينفع في كل حين . واعتادت النفس ان تهون خطب الهموم والمرزءات على الاخرين ممن يبتلون بها ، وذاك في الواقع علاج مرتجل ايضا لا يفيد كل الفائدة ولا يجدي كل الجدوى ، فان من طبع الناس ان تسأم من امثال هذه الشكاوى وتبتعد عن الاصغاء اليها باستمرار (١) ..

وكثيرا ما تنقلب الامراض النفسية الى امراض جسدية لان الهم الثقيل المبرح يؤثر على كثير من اجهزة الجسم فيبيت المريض نهب الهواجس والقلق وتعاسة الحال ..

وكان القدامى من اطباء العرب قد لاحظوا اثر ذلك على الاجساد وقالوا في هذه النواحي النفسية اشياء كثيرة اقرها علم النفس الحديث .. (٢)

غير ان علم التطبيب النفسي لم يرق فيما مضى الى المستوى الذي يصلح ان يكون به علما مستقلا قائما بنفسه ، ولذلك يمكننا القول ان حكاية الطب النفسي هذه حكاية محدثة لم تكتب كل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سطورها ، بل ان بلادنا لا تدري شيئا عن العلاج النفسي بعد .. وانما يرتكز كل علاجها في مستشفياتها على العقاقير وحدها ..

ويحاول الدكتور معمر خالد الشابندر الطبيب البغدادي المختص بالامراض العقلية والعصبية ان يلفت الانظار الى ناحية الطب النفسي ليكون شيئا مذكورا فتكون له عيادات معترف بها يتردد عليها الناس وهم مقتنعون ان لهم فيها البغية المبتغاة من البرء والشفاء ، ان كانوا يتشكون الاوصاب النفسية المؤرقة ..

وقد يظن ظان ان العلاج النفسي أمر هين بسيط لا يتطلب الدعاية الطويلة المركزة ، ولكنه لا بد ان يصحح هذا الظن حالما يخطر على بال من يظنه ان النفس البشرية معقدة وغريبة الاطوار والاحوال ، وانها قد تكون آونة رقيقة مرتاضة هينة لينة مرهفة حساسة تتأثر بالاحداث ما كان منها قريبا وما كان منها بعيدا ، وقد تكون آونة اخرى قاسية صماء متعامية متبلدة ، فهي ابدا ذات كنه لم يدرك له غور حتى يوم الناس هذا ، وذاك سر لم يقدر للعلم ان يزيل عنه الحجب والاغطية كلها فيفشيه افشاءا تاما .. لا سيما وانها ورثت من الدهارير السحيقة في القدم أمورا ما تزال في اعماقها .. (٣)

يضاف الى ذلك كذلك ما للاقدار من احكام تمتحن بها النفس الانسانية فتهزها هزا عنيفا وما في بطون الليالي الحبالى من مفاجآت مروعة تؤذي الاسوياء من الناس وتغيظ الراشدين ، فتنهار امامها كل مقاومة يملكها الانسان الجلد الصبور ..

ومما يزيد من هم النفس فيثقل عليها عبء الحياة فتغتم فتعتل تعرضها للمظالم وانعدام العدل في البيئة التي تعيش فيها ونحو ذلك من الاكدار والمنغصات التي لا بد ان تفعل فعلها في النفس فتجرها الى الضجر والكآبة والانحلال ،وهناك مسالة اخرى في حكاية النفس واوصابها هي ان الوصب النفسي لا يعلق بالافراد وحدهم بل قد يصيب أمة بأسرها وشعبا برمته ، فتبدو على الامة اعراض من الهم والاعياء تقعدها عن التفكير السليم وابتغاء الحلول الصائبة لمشاكلها ..

وهذا امر يقتضي سعي اولي الحكمة والاستبصار وما هم الا علماء النفس المتخصصون في هذه الدراسات والعالمون باسرار التطبيب النفسي الذي يصلح من أمر الفرد ويرقع خرقه فيصلح بذلك أمر الامة ويرقع خرقها .

فاذا التفت الى هذا ملتفت ادرك ان مهمة الطبيب النفسي شاقة ومضنية ، وان العلل التي يواجهها في مرضاه اشد من جميع العلل التي يواجهها طبيب الابدان في المعلولين من مراجعيه .. على ان ذوي الادراك والثقافة من المرضى اكثر تعقيدا في هذا الامر من غيرهم في أغلب الاحيان .. ولقد قال الدكتور المؤلف – ص ١٢٧ – « وكلما كان المريض على حظ اكبر من العلم والثقافة كانت مشاعره اعلى درجة في التعقيد اذا مالت نحو الصراع النفسي الذي هو اساس العصاب »

فما أهون طب البدن بعد ان تيسرت له كل وسائل العلاج .. ولكن ما اصعب مهمة الطبيب النفسي وما أشد يأس عليله من استرداد الصحة واكتساب العافية ..

عكفت على مطالعة « كتاب الامراض النفسية الشائعة » وانا في منتزحي بالصين وقد اوحشني طول الاغتراب فطفقت استعرض في ذهني ما احمل انا وما تحمل الناس من هموم ومشاكل وعقد متعقدة يطول عندها تشكي من اعتاد التشكي ويطول لمثلها صمت من اعتاد الصمت .. ولعل الجميع يتساءلون اما من حل لازمات النفس التي تعصف بها في كل حين بل في كل لحظة ..

ان هذا الضرب من التاليف كثير الفائدة جم المنفعة وهو شيء تلذه النفس رغم ازدحام صفحاته بمصطلحات ونصوص حديثة الوضع والتعريب قليل المام القارىء العادي بها وبأمثالها من التعابير والالفاظ .

وقد الحق المؤلف الدكتور بكتابه معجما صغيرا جمع فيه مصطلحات علم الطب النفسي المعربة فكان ذلك المعجم وحده حريا ان يعد ثروة علمية قيمة لا تثمن بثمن ..

وقد تكرر ايراد هذا المعجم في كلا الكتابين ، غير انه جاء في الكتاب الاول مفهرسا وفق حروف الهجاء العربية ، وجاء في الثاني مفهرسا وفق حروف الهجاء اللاتينية ..

وقد قال المؤلف في مقدمة معجمه هذا « ويسرني ان هيأ الله عز وجل اسباب هذا الجهد المتواضع الذي أرجو ان يكون نافعا ومحفزا لتقليب النظر والنقد البناء وميسرا للدارسين والمتتبعين سبيل التزود من امهات الكتب الموضوعة في اللغات الاجنبية ، كما يسرني ان يكون هذا المعجم والذي سبقه وصلا لما انقطع من جهود قديمة في موضوع تعريب المصطلحات » ..

ان الدكتور المؤلف في كل ما كتب في هذا الحقل كان ظاهر الحرص على ان يكون للطب النفساني وجود الى جوار الطب الجسماني في العراق خاصة .. وقد ركز الكلام على هذه النقطة في مواقع كثيرة من كتبه ومؤلفاته .. وهو اليوم يقول – ص ٤٢ – « وكثير من الناس يعيشون حياة مؤسفة يجعلون انفسهم فيها انصاف مرضى لا هم لهم الا معاناة ما يتصورون من اصابة بمرض جسدي واحد او اكثر ، مستمدين مبررات ذلك من اعتقادهم الخاطىء الذي ربما شجعهم عليه بعض الاطباء ممن ينصرفون الى الفحص الجسدي من غير ان يدخلوا في حسابهم أهمية الفحص النفسي الذي هو واحد من الاسس الهامة التي يجب ان يلم بها كل طبيب .. »

وفي الكتاب نصائح علمية كثيرة تتعلق بشؤون النفس وعللها والتربية الاجتماعية وركائزها ... ومن هذه الناحية كان للكتاب فعل الوصفة الطبية بالنسبة للمرضى الساعين وراء الشفاء ..

ولا مجال للتنصيص على شيء من اقوال المؤلف هذه لانها كثيرة وسيطول بها الكلام في تقريظ الكتاب .. ولكن لا بأس ان نورد نموذجا واحدا للدلالة على نمط التوجيهات النفسية الرشيدة التي أدلى بها المؤلف في غير مكان واحد من كتابه القيم الفريد .. فهو في مناقشته لعدد من الوسائل التربوية التي ألفها الناس لا سيما ما كان متعلقا منها بتربية الاطفال يقول – ص ٥١ – « ان الطفل يجب ان يتعلم مواجهة الخطر عن طريق تجربته الشخصية لا عن طريق النصائح المثبطة لفعالياته الطبيعية » ..

وفي الفصل الاخير من الكتاب ابدى المؤلف مقترحات خاصة ذات صلة بالنواحي النفسية كان من بينها دعوته الى تاسيس عيادات نفسية للاطفال وللبالغين تتوفر على بحث انحرافات السلوك وتقويمها قبل ان تصبح حالة اختلال عقلي او نفسي بالغ ..

ومن بين مقترحاته ايضا تاليف جمعية لنشر الدعوة للصحة العقلية يكون من اغراضها توجيه الناس لممارسة ما من شأنه اشاعة روح الطمانينة والعمل الايجابي وتوفير الفرص المتكافئة وجعل الحياة لائقة بمستوى انساني رفيع ..

ومن مقترحات الدكتور الشابندر كذلك تاليف مجمع نفسي اجتماعي من المتخصصين وذوي الخبرة والرأي من داخل القطر ومن خارجه تتوفر على تنسيق الخطط الضرورية من اجل خدمات نفسية

---

(١) الامراض النفسية الشائعة – ص ١١٨ (٢) علم النفس في الحياة اليومية للدكتور معمر خالد الشابندر ص ٢٣ (٣) أومأ الدكتور الى شيء من هذا في كتابه « الامراض النفسية الشائعة » قائلا ص ٥٠ « وربما كان هذا من امثلة المخاوف المتأصلة في النفس الانسانية منذ أقدم العهود بسبب أخطار تعرض الانسان اليها في قديم الزمان .. » (٤) كانت كلمة اهداء الكتاب بارعة وطريفة ، فان المؤلف قال في ذلك : « الى شريكة حياتي .. تحية وتقدير واعتراف بالجميل الذي جعل حياتي تستحق ان تعاش في مثل هذا الزمان » ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واجتماعية ..

ان الاستاذ الدكتور معمر خالد الشابندر يعد رائد علم الطب النفسي وداعيته في العراق ، وقد عرفنا له دراسات قيمة في هذا المدى الشاسع وكان قد تفضل فاهداني نسخة من كتابه « الامراض النفسية الشائعة » الذي نشره في الهزيع الاخير من سنة ١٩٦٨ فجعله متمما لكتابه « علم النفس في الحياة اليومية » فجاء الكتابان جذرين عميقين لدوحة الطب النفسي في العراق ، ان قدر للطب النفسي ان تكون له دوحة هناك تظلل على الصحة النفسية فتلعب بذلك افياؤها دورا في حماية النفس الانسانية مما يهددها من دواعي الانهيار والتداعي ..

وخلاصة القول ان الكتاب جدير بالقراءة ، وجدير كذلك ان يتخذ مرجعا يرجع اليه عند عروض حاجة نفسية يراد النظر في طبيعتها .. ولا أكتم اني انتفعت به كثيرا لا سيما وانا عظيم الثقة بقدرة الدكتور المؤلف وعمق دراسته وفرط اخلاصه في عمله وفي انتاجه .. (٤)

بكين **جلال الحنفي**

•

اليد في حياتنا وتراثنا

تأليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في دير الزور بسورية

كتاب طريف بأسلوبه مبتكر بموضوعه لم يخطر ببال احد تأليف مثله وضعه الاديب المفكر المتعمق بمعرفة الفنون الشعبية الاستاذ المحامي عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات بدير الزور وعضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى .

يتألف الكتاب من اثنتين وسبعين صفحة بالحجم الكبير وهو السلسلة الرابعة والعشرون من التحقيقات (الفولكلورية) للمصنف وقد ابدع كل الابداع بجمعه وترتيبه وتبويبه .

وذكر كل شيء يتعلق باليد ومترادفاتها كالكف والراحة وما يتفرع عنها من انامل واصابع واشاجع وبنان ورسغ وزند وعضد ساعد وذراع ومرفق ومعصم وظفر ، وعرفها جميعها تعريفا جامعا مانعا وبين معانيها في اللغة العربية مع تعيين مواضعها وسرد اشعارا جميلة وكثيرة قيلت بها في مختلف العصور حتى العصر الحديث . كما انه استشهد بآيات قرآنية واحاديث نبوية وامثال عربية وعامية وبلهجة ابناء الفرات ، ونوه بما لليد من المعتقدات والعادات والتقاليد ووسائل التعليم والمخاطبة بشتى حركاتها وما لاشاراتها ولمساتها ، من فائدة للبكم والمكفوفين ، واوضح ما سجل التشريع الالهي والمدني من احكام عنها ، كما تحدث عن قراءة الكف واهمية دمغة (بصمة) الابهام في القانونين المدني والجزائي ، وما لليد في حياة الانسان من لزوم وضرورة .

وهكذا لم يترك شاردة او واردة عن اليد الا اشار اليها في كتابه القيم الفذ ولا بدع فمؤلفه ذو فكر ثاقب ورأي صائب والمعية ولوذعية .

على ان في الكتاب هفوات طباعية كقوله في الصفحة الثانية والعشرين : ـ الساعد ما بين المرفق والكتف ـ والصواب (ما بين المرفق والكف) وكقوله فيها ـ العضد الساعد وهو من المرفق الى الكتف ـ والصواب (الى الكف) وكذكره للآيةالكريمة ـ ومتخذ المضلين عضدا ـ والصواب « وما كنت متخذ المضلين عضدا » ونسي في الصفحة نفسها عند ذكره جموع الزند ان يذكر جمعه على زنود وجمع الجمع أزاند .

كما انه عند سرده المثل ـ لا يعرف كوعه من بوعه ـ فسر البوع بالكرسوع وهو طرف الزند الذي يلي خنصر اليد والصواب ان البوع بضم الباء عظم يلي ابهام الرجل كما في دائرة المعارف لفريد وجدي والمنجد للاب لويس معلوف . والعجيب ان لسان العرب والقاموس المحيط وهما من اوثق المعاجم العربية واغزرها مادة لم يدونا هذه الكلمة بالمعنى المذكور فيتبادر للذهن انها مولدة . وقد جاء في لسان العرب ما نصه : الباع والبوع (بفتح الباء) والبوع (بضم الباء) مسافة ما بين الكفين وهذا غير المعنى المقصود ، ومن المستغرب ان المثل المنوه به يتباهى به العوام ويطلقونه على من لا يفهم وهم لا يفهمونه . والحقيقة ان كلمة البوع عويصة لا يعرف معناها اللغوي الا الخاصة .

وجاء في الصفحة الرابعة عشرة من كتاب اليد البيت الاتي ونسبه المؤلف للرقاشي في وصف الخمر وهو :

فما حسا ثانيا او بعض ثالثة   حتى استدار ورد الراح بالراح

والمشهور انه لابي نواس وهو مثبت في ديوانه وفيه وصف لحالة السكران المؤسفة لا للخمر .

وفي البيت لوحة مصورة بارعة للثمل المترنح الذي فقد وعيه وقد أصبح لا يقوى على النطق من شدة سكره فرد كأس الراح براحتيه حين قدمت اليه لانه لا يستطيع الشرب .

وجاء في الصفحة الواحدة والعشرين بيت بهذا الشكل المغلوط طباعة :

ما بين لقمتها الاولى اذا ازردت   وبين أخرى قبلها قيس أظفور

وصواب البيت :

ما بين لقمتها الاولى اذا انحدرت   وبين اخرى تليها قيس أظفور

والاظفور الظفر وقيس بكسر القاف بمعنى مقدار .

وجاء في اول الصفحة الثامنة عشرة بيت للشاعر الاستاذ محمد الفراتي من دير الزور مختل الوزن طباعة لا اود تصحيحه من عندي لكيلا يتبدل اسلوب الشاعر وقصده وليس لدي ديوان الشاعر لانقل البيت على وجه الصواب .

وليت المؤلف اشار الى أرجوزة الشاعر لبيد بن ربيعة العامري

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من روائع الكتب القيمة

التي لا غنى عنها لمكتبتكم

كما تجدون جميع الكتب المدرسية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحد اصحاب المعلقات وهو من الاجواد المعمرين والفرسان المعدودين حين حضر وهو صبي مع وفد من قبيلته الى النعمان بن المنذر فوشى بهم الربيع بن زياد العبسي وكانت بين قبيلتي عبس وعامر عداوة فعدل النعمان عن تكريم العامريين وكان محتفيا بهم وعلموا ان الربيع هو سبب ذلك فرغبوا بالرحيل فقال لهم لبيد أنا أكفيكم شره فلم يأبهوا بقوله لانه لا يزال صغيرا وراقبوه ليلا فرأوه مهتما بالامر وهو راكب رحلا يكدم وسطه فلما اصبحوا أخذوه معهم الى النعمان فوجدوه هو والربيع يأكلان معا فانشد لبيد بعد ابيات من ارجوزته :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري أشجعه
كأنه يطلب شيئا ضيعه

والاشجع اصل الاصبع فكره النعمان مؤاكلته ومعاشرته وتقززت نفسه منه فأمره بانصراف وحباه بضعف ما كان يحبوه فكذب الربيع قول لبيد بأبيات وأجابه النعمان بمثلها وهذا بيتها الاخير :

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيلا

فذهب البيت مثلا ثم أكرم النعمان وفادة العامريين واجزل لهم العطاء فانصرفوا شاكرين مسرورين .

ومن الكنايات التي لم يدونها الكتاب (لعق اصبعه) أي مات . ومنها (يشار اليه بالبنان) يقال للرجل المشهور على ان ما ذكرته من هفوات طباعية وغيرها لا ينقص شيئا من قيمة الكتاب الادبية والفنية وكل من يقرؤه يجد فيه متعة وطرافة وفائدة .

جبله ــ سورية رشاد علي اديب

•

أبو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع

تأليف حمد الجاسر ــ ٤٥٠ صفحة ــ منشورات دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة بالرياض

كم كنت سعيدا غاية السعادة حين تلقيت من الاستاذ الكبير المحقق الباحث العالم العلامة الشيخ حمد الجاسر كتابه الاخير « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ، الذي تفضل مشكورا باهدائه الي ...

والكتاب بحث منهجي موضوعي وتحقيق شامل واف دقيق في ٤٥٠ صفحة على ورق أبيض مصقول في طباعة انيقة ــ يؤرخ لعالم جليل القدر ، متعدد نواحي المعرفة ومع هذا فانه يكاد يكون مغمورا ..

ولقد حاول المؤلف في هذا البحث ابراز وتوضيح جميع جوانب حياة هذا العالم التي يحتاج الباحث الى معرفتها ، مما تضيق كتب التراجم ببيانه وهي السخية الكريمة به لمن هو أقل مقاما في العلم ، وأدنى منزلة من الناحية الثقافية من عالمنا هذا . ولقد حالفه التوفيق فعلا في رسم صورة صادقة امينة لمراحل حياته وعصره وموطنه والاحاطة بكل ما يمت اليه بصلة . ولم تفته شاردة او واردة عن نشأته وأعماله ومؤلفاته واثاره اللغوية بأسلوب واضح مشرق رقيق وعبارة جذلة خلابة تدعو الى العجب والاعجاب معا .

والذي يثير الاهتمام ويبعث الى العجب العاجب في هذا الكتاب الفذ هو انه تاريخ لرجل يكاد يكون مغمورا كما قلنا ، ومع ذلك فقد جاء الكتاب زاخرا بالمعلومات التاريخية والعلمية والادبية النادرة امدنا بها المؤلف بطريقة تجعل القارىء ينهل منها ويرتشف بكل شغف دون ان يعتريه اي ملل . ولعل ذلك يرجع الى مقدرة المؤلف وتمكنه من موضوعه . ولذا جاء مؤلفه تحفة ادبية تاريخية رائعة وثروة علمية لا تقدر ستخلدها له الاجيال جيلا بعد جيل .

ان الهجري فضلا عن كونه عالما لغويا واديبا ذا عناية بالشعر ، وتذوق وفهم وادراك ، وتمييز لجيده من رديئه ، وباحث جغرافي حاول ان يحدد كثيرا من المواضع التي يتوقف على تحديدها فهم الشعر العربي ، ونسابة عني بكتابة قسم من انساب قبائل الجزيرة في عصره ، بطريقة وان كانت موجزة وغير مرتبة ، الا انها حفظت لنا شيئا كثيرا ، ذا قيمة في موضوعه . وبالرغم من ان هذا العالم تصدى لناحية لا نجد عالما من العلماء الذين عرفناهم تصدى لها في ذلك العصر . وحاول في كتابه ان يسجل كل ما يستطيع تسجيله من ادب الجزيرة ، شعرا ، ونثرا ، ولغة ، وتحديد مواضع ، وذكر انساب ، ووصف حياة .

وبالرغم من انه تصدى لتدوين ذلك في عصر انصرف فيه العلماء من باحثين ومؤرخين عن الجزيرة بعد ان انصرفت عنها الانظار . فان كتب التراجم لا تجود عليه بترجمة اكثر من قولها : « أبو علي هارون بن زكريا الهجري النحوي ، صاحب كتاب النوادر والتعليقات المفيدة روى عنه ثابت بن حزم السرقسطي » (1) .

عاش الهجري في اخر القرن الثالث الهجري وفي أول القرن الرابع ، واقام في مكة وتنقل في أرجائها حيث اجتمع به فيها الهمداني والسرقسطي . واخيرا استقر به المقام في المدينة حتى اخر حياته .

ولقد كان الهجري على صلة طيبة وطيدة بطاهر الحسيني اذ انه كان مؤدب اولاده . وطاهر الحسيني هذا هو طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر ابن عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب من امراء المدينة وعلمائها واعيانها .

ومع ان الهجري كان واسع الاطلاع ، وكان قد قرأ كثيرا من مؤلفات علماء اللغة المشهورين كالاصمعي وقبله الفراء وبعده ابن قتيبة وغير هؤلاء ، كما تدل على ذلك اشارات في كتابه « التعليقات » ، مع هذا فان كتابه يدل على قلة روايته عنهم ، وعلى ندرة نقله من كتبهم ، وعلى انه انما خصص كتابه هذا للاخذ عن رواة من اهل البادية ، وكأنه أراد بكتابه هذا ان يسجل ما لم يسجله غيره .

والهجري ــ مع اطلاعه على مؤلفات ائمة اللغة ــ لا يحفل بالاخذ عنها كثيرا ، بل يكتفي بالاشارة الى ما ورد فيها عندما يعرض لذكر ما له صلة به . فكأنه اراد بكتابه تدوين معلوماته الخاصة .

ولقد اخذ عن الهجري علماء كثيرون تتلمذوا عليه ، منهم أبو بكر محمد بن علي ابن القاسم المكي شيخ بن جنى وتلميذ ابن دريد . وابو محمد الحسن بن احمد ابن يعقوب الهمداني مؤلف كتاب « الاكليل » و « جزيرة العرب » و « الدامغة وشرحها » و « سرائر الحكمة » و « الجوهرتين » وغيرها من المؤلفات .

ونقل عن الهجري كثيرون ، منهم : العالم اللغوي العظيم ابو الحسن بن سيده الضرير الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٨ هـ الذي نقل في معجميه الكبيرين « المحكم والمحيط الاعظم » و « المخصص » اشياء كثيرة لغوية عن الهجري . وممن نقل عنه العالم الاندلسي الوزير الفقيه ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري المتوفي سنة ٤٨٧ هـ وهو صاحب كتاب « معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع » ، وكتاب « فصل المقال في شرح الامثال » وكتاب « اللآلي في شرح الامالي » وغيرها من مؤلفات . وممن نقل عن الهجري ايضا من علماء الاندلس ابو محمد عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي المتوفي سنة ٥٤٢ هـ ، فالف كتابا كبيرا في الانساب سماه « اقتباس الانوار والتماس الازهار في أنساب الصحابة ورواة الاثار » اكثر فيه النقل عن الهجري .

اما مؤلفات الهجري التي أخذ منها كل هؤلاء فهي : كتاب

---

(1) « معجم الادباء » لياقوت ٢٦٢/١٩ و « بغية الوعاة » للسيوطي ص ٤٠٥ الطبعة الاولى .



ظهر حديثاً

● نور الاندلس – تاليف امين الريحاني – تقديم البرت الريحاني – طبعة ثانية – ٢٥٦ صفحة – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المكاري والكاهن – قصة – تاليف امين الريحاني – طبعة ثالثة – ٨٨ صفحة – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت – مطابع دار الريحاني ببيروت .

● الشوق والرصاص – مجموعة شعرية – زياد نجيب ذبيان – مصمم الغلاف زكريا كايا – ١٦٨ صفحة – مطابع دار الكتب ببيروت .

● ديوان حاتم الطائي – حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي – ١٢٨ صفحة – حجم كبير – منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان طرفة بن العبد – حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي – ١٢٨ صفحة – حجم كبير – منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت – مطبعة الامان في درعون لبنان .

● ديوان جميل بثينة – حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي – ١٢٨ صفحة – حجم كبير – منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت – مطبعة الامان في درعون لبنان .

● زهرة في قبر – رواية – تاليف محفوظ ايوب – ١٢٨ صفحة – منشورات دار الاجيال بدمشق – مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● عاشق الاحزان – مجموعة قصص – تاليف السيد ابراهيم – ١٢٤ صفحة – منشورات الناشر العربي بالقاهرة – (لم يذكر اسم المطبعة)

● الادب والثورة – تاليف عبد الله نيازي – ١١٢ صفحة – حجم كبير – سلسلة الكتاب الحديث رقم ٢٩ – منشورات وزارة الثقافة والاعلام في بغداد – مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ببغداد .

● اليد في حياتنا وتراثنا – تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية – ٧٢ صفحة – حجم كبير – سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات رقم ٢٤ – طبع في دير الزور سورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشوق الغارب – مجموعة شعرية – عبد الخالق فريد – ٨٠ صفحة مطابع الفجالة الجديدة بالقاهرة .

● ما علينا – مجموعة شعرية – علي عبد الرحمن – ١٠٤ صفحة – حجم كبير – مطبعة شبير (؟) .

● الماء العذب – قصص قصيرة – تاليف غانم الدباغ – ١٢٠ صفحة – مطبعة الاديب ببغداد .

● الوهم – رواية – تاليف محمد جلال – الغلاف بريشة مصطفى حسين – ٢٠٠ صفحة – مطبعة دار الهنا بالقاهرة .

● انفاس الشباب – مجموعة شعرية – محمد رضا آل صادق – ٧٢ صفحة – مطبعة الفري الحديثة بالنجف .

● صحافة الاحزاب وتاريخ الحركة الوطنية – تاليف فائق بطي – مصمم الغلاف محمد سعيد الصكار – ٢٠٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة بغداد – مطبعة الاديب ببغداد .

● اوراق الغربة – تاليف عبد الله الشيتي – الغلاف للفنان نصرالدين – ١٠٦ صفحة – دار الخليج للطباعة والنشر بالكويت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« التعليقات والنوادر » وكتاب « منتخب الاراجيز » وكتاب «العقيق» .

هذا هو الهجري موضوع بحث الكتاب الذي نحن بصدده الان ، والذي اجتمعت له خصال ثلاث تجعله في عداد كتب السير المشهود لها لاعلام المترجمين ، وتلك الخصال هي : التحقيق التاريخي ، والتحليل النفساني ، والاعتراف بالفضل لمن بذلوا جهدا يستحقون عليه الشكر والثناء . فاستاذنا الشيخ الجاسر عالم فاضل تقتضيه الامانة العلمية ان يعطي كل ذي حق حقه من الاعتراف بالفضل ، وهو – كما يقول – اقل من ان يفي باليسير من واجب الوفاء لهم ، ان ينوه عن ثلاثة من علماء المسلمين في بلاد الهند لهم عناية كبيرة بالهجري واثاره ، هم : العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الذي خدم اللغة العربية وادابها اجل خدمة بما نشره من اصول كتبها ، والعالم الاستاذ زبير الصدقي الذي اتجه لدراسة كتاب الهجري وقام بتحقيقه تهيئة لنشره ، وقد القى عن الكتاب بحثا في مؤتمر المستشرقين نشرت خلاصته في النشرة التي اصدرها مؤتمر المستشرقين لسنة ١٩٥٧ ، والاستاذ ابو محفوظ الكريم المعصومي ، وهو من علماء الهند البارزين في الابحاث العربية ، فقد القى في مؤتمر المستشرقين الـ ٢٦ محاضرة عن الهجري وعن كتابه « التعليقات والنوادر » اشار فيه الى انه قد هيأه للطبع . فلا غرابة اذن ان نجد استاذنا الجليل الشيخ الجاسر يهدي كتابه هذا الفخم الى هؤلاء العلماء الاعلام .

ولما كان الاستقصاء في طبيعة مؤلفنا الكبير فقد ابتدأ موضوعه من البداية فتناول بالبحث الضافي اثر علماء الاندلس في نشر الثقافة ، وكيف كانت مكة مركزا للثقافة العربية . ثم عرض في القسم الاول من الكتاب تاريخا شاملا عن الهجري ، حياته وعصره ، وموطنه ، وسكناه المدينة ، واسماء من تلقى عنهم الهجري وبعض من أخذوا عنه ، وتعريف بمؤلفاته مع ذكر نصوص من هذه المؤلفات عن : مفردات اللغة ، وانساب القبائل ، حياة البادية ، بعض النوادر ، السهام ، فصل الشتاء ، طرائف . ثم يذكر ما بقي من اثار الهجري .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى القسم الثاني من الكتاب حيث يذكر ابحاث الهجري في تحديد المواضع ، ومصادر هذا القسم واسماء المواضع مرتبة على حروف المعجم في فهرس خاص جاء في اكثر من ٤٠ صفحة .

اننا لو ارخينا العنان لاعجابنا لاوردنا الكتاب كله شاهدا على فضل كاتبه في كل ما سطره فيه وتبريزه في نواحيه المتعددة وبلوغه الغاية في الاصالة والصدق . انه بالحق جوهرة من الجواهر الثمينة التي يتحفنا بها عالمنا الجليل من حين الى حين ،قمينة بأن يفرد لها اعز مكان في خزائننا الادبية ، وجديرة بالاحتفاظ بها حتى يرثها عنا احفادنا من بعدنا .

فلا يسعني هنا الا ان اسدي لاستاذي الجليل الشيخ حمد الجاسر الشكر وافرا وجزيلا على ما تفضل به علي من زاد ادبي وعلمي ، وادعو له بطول العمر مع الصحة والعافية وراحة البال .

الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصد ريعها لاعمال الاسعاف الاجتماعي

يوالي اجراء سحوبات سنة ١٩٦٩

ليقدم الربح للمساهمين والمساعدات للمؤسسات الخيرية

١٥	اصدارا شعبيا	الجائزة الكبرى	٢٥٠٠٠ ل.ل.
٢٥	اصدارا شعبيا خاصا	الجائزة الكبرى	٤٠٠٠٠ ل.ل.
٤	اصدارات سويبستيك	الجائزة الكبرى	٥٠٠٠٠ ل.ل.
٨	اصدارات عادية	الجائزة الكبرى	٦٠٠٠٠ ل.ل.
١	اصدار راس السنة	الجائزة الكبرى	٢٠٠٠٠٠ ل.ل.

الوف الجوائز الموزعة تدفع من المديرية معفاة من جميع الرسوم والضرائب

ترقبوا مواعيد سحوبات اليانصيب الوطني مزودين بأوراقكم

ليؤمن لكم مع الثروة المساهمة في عمل الخير

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.co